الفصل الثاني:

الجهود الدعوية في شمال شرق القوقاز.

ويتضمن المباحث التالية:

المبحث الأول:

القائمون بالدعوة.

المبحث الثاني:

مضمون الدعوة.

المبحث الثالث:

الوسائل والأساليب.

المبحث الأول:

القائمون بالدعوة في شمال شرق القوقاز:

ويشتمل على ثلاثة مطالب كمايلي:

المطلب الأول:

المؤسسات الداخلية.

المطلب الثاني:

المؤسسات الخارجية.

المطلب الثالث:

الشخصيات العلمية والدعوية.

المطلب الأول:

المؤسسات الداخلية:

وهي تنقسم إلى التالي:

أولاً: المؤسسات الحكومية:

أ- وزارات الإعلام.

ب- وزارة الداخلية في الشيشان.

ج- المحاكم الشرعية في الشيشان.

ثانياً: المؤسسات شبه الحكومية والأهلية:

أ- الإدارات الدينية في داغستان.

ب- الإدارتان الدينيتان في الشيشان وفي الأنغوش.

ج- مركز الرسالة الإسلامي في الشيشان.

إن تشريع الدعوة إلى الله تعالى يهدف إلى إرشاد البشرية إلى أعظم حق في هذا الوجود؛ إذ بدون الدعوة إلى الله لا يتمكن البشر من عبادة ربهم على الوجه الذي يرضيه سبحانه، ويقعون في تخبط بأمر خلقهم، والغرض منه، ومآلهم ومصيرهم؛ فتغلب عليهم الضلالات والأوهام، كما قال ربنا جل شأنه: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

يقول الإمام الشوكاني[١] في «فتح القدير»: «والمعنى: أنه ﷺ يخرج الناس بالكتاب المشتمل على ما شرعه الله لهم من الشرائع مما كانوا فيه من الظلمات إلى ما صاروا إليه من النور»[٢].

ولاريب أن إرشاد البشرية حتمي، وهو يحتاج اليوم إلى جهود جبارة بعد أن انفلت زمام العقل وطغت ظلمات الإلحاد وانحسرت القيم الخلقية وضيعت المادية حياة كثير من الناس.

وإن طبيعة شعوب المنطقة في شمال شرق القوقاز محبة للإسلام متمسكة به جيلاً بعد جيل، رغم رياح المحن العاتية التي عصفت بها منذ عهد الإمام شامل إلى زمننا المعاصر، غير أن الظاهرة الملفتة للنظر العودة الحثيثة المتسارعة للدين من قبل أبناء المنطقة هناك نتيجة جهود تبذلها مؤسسات وعلماء ودعاة نذروا أنفسهم للجهاد والدعوة في سبيل الله تعالى.

ومن أهم المؤسسات التي تقوم بواجب الدعوة مايلي:

---

(١) الإمام الشوكاني: هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني. فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، ولد بهجرة شوكان باليمن عام ١١٧٣هـ (١٧٦٠م)، ونشأ بصنعاء وولي قضاءها عام ١٢٢٩هـ ومات حاكماً بها. له ١١٤ مؤلفاً، منها: «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار» و«البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» و«فتح القدير» في التفسير، و«إرشاد الفحول» في أصول الفقه وغيرها. توفي عام ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م) انظر: «الأعلام» ٦/ ٢٩٨.

(٢) محمد بن علي الشوكاني «فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير» ٣/ ١١١، ط دار ابن كثير ـ دمشق، ١٤١٤هـ (١٩٩٤م).

أولاً: المؤسسات الحكومية:

يستطيع المتابع لواقع الدعوة الإسلامية في شمال شرق القوقاز تحديد الجهات الحكومية التي لها بعض الإسهامات والجهود في مجال الدعوة الإسلامية، حيث يمكن حصرها في الجهات الثلاث التالية:

أ- وزارات الإعلام في الجمهوريات الثلاث:

فقد بدأت الأجهزة الإعلامية التابعة لوزارات الإعلام، من قنوات التلفزة والإذاعات والصحف مسايرة الرغبة الشعبية الجامحة في العودة إلى الدين الإسلامي بعد تفكك وانهيار الاتحاد السوفييتي السابق، فأصبح الأذان للصلوات يسمع بين الحين والآخر في قنوات التلفزة، كما أصبح نقل خطب الجمعة من بعض مساجد العواصم في شمال شرق القوقاز أمراً مألوفاً. وكثيراً ما بُثت برامج دينية ووعظية في تلك الوسائل الإعلامية لاسيما في شهر رمضان المبارك ومواسم الحج والعيدين[١].

ب- وزارة الداخلية بجمهورية الشيشان:

حيث تسهم وزارة الداخلية الشيشانية بجهود طيبة، لاسيما في عهد الوزير الدكتور إسلام حليموف الذي دخل الوزارة في عهد الرئيس أصلان مسخادوف بعد فوزه بانتخابات عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م). فقد بذل الوزير جهوداً كبيرة في منع المحرمات الشرعية كشرب الخمر والبغاء، كما بذل جهوداً كبيرة في استتباب الأمن والحد من الجريمة في مجتمع يمتلك غالبية أفراده أنواعاً من الأسلحة[٢].

ج- المحاكم الشرعية بجمهورية الشيشان قبل تغيير القائمين عليها عام ١٤١٨هـ (١٩٩٨م):

لقد كان تطبيق الشريعة الإسلامية حلماً يراود الشعب الشيشاني طالما ردده الرئيس الراحل جوهر دوداييف ـ رحمه الله تعالى ـ حتى رأت النور في عهد خلفه الرئيس سليم

(١) لاحظ الباحث ذلك ونقل إليه من أشخاص عدة.

(٢) التقى الباحث بالوزير في جمهورية الشيشان وفي دولة الكويت، وتعرف على جهوده من مصادر عدة.

خان حيث أصدر مرسوماً يقضي بذلك. وبعد إجراء الانتخابات حقق الرئيس المنتخب مسخادوف تلك الرغبة بإنشاء المحاكم الشرعية، واختير لإنجاز تلك المهمة مجموعة من طلبة العلم الذين أنشؤوا معهداً للقضاء الشرعي يهدف إلى تأهيل كوادر قادرة على القيام بهذه المهمة، وبعد تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية استتب الأمن وساد العدل ـ بشهادة الكثيرين على ذلك ـ حيث كان القائمون عليها من الدعاة وطلبة العلم الأخيار، غير أن الاستعجال في تطبيق الحدود الشرعية في مجتمع لم يهيأ إلى ذلك بعد، وارتكاب بعض الأخطاء في التطبيق[١] الذي تزامن مع حملة مغرضة قادتها موسكو للتنديد بتطبيق الشريعة الإسلامية، كل ذلك أدى إلى حالة من التذمر نتج عنها في نهاية المطاف إصدار الرئيس الشيشاني أمراً بتغيير القائمين على أمر تلك المحاكم.

واستبدل القائمون عليها بآخرين من الإدارة الدينية ليسوا من أصحاب العلم ـ في الغالب ـ مما أدى إلى زيادة الفوضى في المجتمع وضعف الأمن وانتشار السرقات والخطف والرذائل. عندئذ أدرك الرئيس حجم الخطأ الذي ارتكبه فقدم اعتذاره لرجال المحاكم الشرعية الذين أمر بإقالتهم، وتجلت الأمور أكثر عندما قامت روسيا بضرب الشيشان، حيث أصبح واضحاً للعيان أهداف السياسة الروسية في زرع بذور الفتنة في أوساط الشعب الشيشاني، ليسهل عليها بعد ذلك مواجهته متفرقاً ممزقاً لاستئصاله والقضاء عليه[٢].

ثانياً: المؤسسات شبه الحكومية:

وهي تلك المؤسسات المدعومة من قبل السلطات المحلية والسلطات المركزية في موسكو، وهي على وجه التحديد مايلي:

أ- الإدارات الدينية في داغستان:

يعود تاريخ إنشاء الإدارات الدينية في روسيا إلى العهد السوفييتي البائد، حيث أنشئت تلك الإدارات بهدف دعم النشاط العسكري الروسي في مواجهة خصومها في الحرب

(١) ذكره بعض القائمين على أمر المحاكم.

(٢) استجمع الباحث ذلك من مصادر عدة تمثلت في لقاءات شخصية من داخل الشيشان.

العالمية الثانية، ومراقبة المسلمين والتجسس عليهم من خلال تعيين شخصيات ذات ولاء للحكم الشيوعي على رأس تلك الإدارات[١].

ومع هبوب رياح التغيير ومجيء البيروسترويكا طرأ بعض التغير الإيجابي على تلك الإدارات وعلى بعض القائمين عليها، كما أن أعدادها قد زادت، ففي داغستان وحدها أنشئ ما يقرب من عشر إدارات دينية، كل واحدة منها تمثل قومية، ولكل واحدة منها مفتٍ. فلقومية الأوار إدارتها الدينية ومفتيها، وللقوموق إدارتها ومفتيها، وللدارغين مثل ذلك، وللزكين مثل ذلك، وغيرهم وغيرهم... وأكبر تلك الإدارات هي التي تمثل الأوار (أكبر القوميات عدداً) وهي المدعومة من قبل الدولة.

ومن أهم جهود الإدارات الدينية مايلي:

١- الإجابة على أسئلة الناس، والإفتاء في القضايا الفقهية والمستجدات الحياتية والنوازل التي تطرأ على المجتمع. ويكون ذلك بوسائل عدة كاللقاءات المباشرة مع الجمهور، وفي وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة. وكذلك من خلال الصحيفة الأسبوعية التي تصدرها الإدارة الدينية بداغستان[٢] بعنوان «السلام» حيث تشتمل على باب خاص للفتاوى[٣].

٢- تشرف الإدارات الدينية على بعض المساجد في المدن والقرى، وترعاها من حيث تعيين الأئمة والمؤذنين ومتابعة أداء رسالتهم الدعوية.

٣- تنظم الإدارة الدينية الرئيسة بداغستان المحاضرات والندوات والمؤتمرات في المدن والقرى بهدف النوعية الإسلامية.

٤- تشرف الإدارات الدينية على المعاهد والمدارس الدينية التابعة لها في المدن والقرى التي افتتحت في السنوات الأخيرة.

٥- الاهتمام بتعليم وتحفيظ القرآن الكريم للشبيبة والناشئة، وتنظيم المسابقات ورصد الحوافز التشجيعية لذلك.

---

(١) انظر: د. إحسان حقي «المسلمون في الاتحاد السوفييتي» ص ٢٦٧ وما بعدها، وانظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ٢٣٢.

(٢) المراد بها إدارة قومية الأوار.

(٣) ذكره بعض من التقاهم الباحث.

فقد كانت الإدارة الدينية بداغستان تنظم سنوياً مسابقة كبرى لحفظ القرآن الكريم يتنافس فيها الشباب والناشئة وترصد لها الجوائز القيمة التي يتبرع بها التجار كالسيارات والأجهزة الكهربائية وغيرها. وقد اشترك الأوائل من الفائزين في المسابقة العالمية التي تعقد بجمهورية مصر العربية سنوياً في ليلة ٢٧ من شهر رمضان المبارك، حيث فازت الطفلة الداغستانية «زهيرة» التي تبلغ من العمر خمس سنوات في مسابقة عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) حيث حفظت سبعة أجزاء من القرآن الكريم. وقد كان لهذا الحدث أصداء طيبة جداً في داغستان، لاسيما وأن الرئيس المصري قد كرمها بجائزة وزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية، كما كرمتها الإدارة الدينية وأهل منطقتها بداغستان بجوائز وهدايا كثيرة عند عودتها، وأعدوا لها احتفالاً تكريمياً كبيراً[١].

٦- استطاعت الإدارة الدينية بداغستان تخصيص مساحة زمنية أكبر في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة للبرامج الدينية، حيث أصبح للإدارة برامجها الوعظية والتثقيفية الأسبوعية، كما أصبح تعظيم الشعائر الإسلامية كالحج ورمضان والعيدين سمة ظاهرة في وسائل الإعلام.

٧- للإدارات الدينية جهود دعوية طيبة في مناطق أخرى خارج داغستان، ولاسيما تلك التي يوجد بها جاليات داغستانية، فقد اعتادت الإدارة على إرسال وفود من الدعاة إلى البلدان المجاورة والبعيدة بهدف دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وتلبية رغبات الجاليات المسلمة خارج الوطن بإرسال الأئمة والخطباء، وبناء المساجد وما إلى ذلك.

ومن أمثلة ذلك مشاركة الإدارة بداغستان في بناء وافتتاح أول مسجد في «جمهورية كالميكيا» البوذية المجاورة لداغستان من جهة الشمال، وعينت الإدارة إماماً وخطيباً لذلك المسجد.

وكذلك الحال في مدينة «مورمانسك» شمال روسيا، وفي سيبيريا، واستراخان، وغيرها، حيث بعثت الإدارة بعض الدعاة يعلمون أبناء المسلمين وغيرهم هناك اللغة العربية، ومبادىء وشعائر الإسلام[٢].

---

(١) ذكره بعض الطلاب الداغستان الدارسين في مصر.

(٢) ذكره بعض من التقاهم الباحث.

ب- الإدارتان الدينيتان في الشيشان وفي الأنغوش:

أنشئت الإدارة الدينية في جمهورية الشيشان، والإدارة الدينية في جمهورية الأنغوش بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، وجهود هاتين الإدارتين لا تختلف في جوهرها عن جهود الإدارة الدينية في داغستان، وهي تتلخص في التالي:

١-الإشراف على بعض المساجد.

٢-الإشراف على بعض المعاهد.

٣- تعليم الشبيبة والناشئة اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم.

٤- إعلان مواعيد دخول شهر رمضان المبارك والعيدين.

٥- الإجابة على أسئلة الناس الدينية.

٦- العمل على حل مشكلات الناس، ولاسيما المنازعات.

٧- إلقاء بعض المحاضرات الدينية في وسائل الإعلام، لاسيما في شهر رمضان المبارك.

٨- إعداد منهج للتربية الإسلامية في المدارس الحكومية في أنغوشيا.

٩- التصديق على عقود القران[١].

ج- مركز الرسالة (جمهورية الشيشان):

مركز الرسالة الإسلامي مؤسسة اجتماعية دعوية مسجلة رسمياً لدى الحكومة الشيشانية عام ١٤١٣هـ (١٩٩٣م)، وهي الوحيدة من نوعها في العاصمة غروزني، يرأسها الشيخ أحمد حمزة متاييف. يهدف المركز إلى:

١- الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

٢- العمل على تصحيح عقائد المسلمين وتقويم سلوكهم وأخلاقهم.

٣- غرس مفاهيم وقيم الإسلام وتربية الشباب وتنشئته عليها[٢].

وقد نشط القائمون على المركز في مجال الدعوة إلى الله تعالى، فنظموا برامج كثيرة

---

(١) ذكره مفتي أنغوشيا في لقاء مع الباحث.

(٢) لقاء للباحث مع الشيخ أحمد حمزة، متاييف في العاصمة الشيشانية غروزني بتاريخ ١٤١٩/٦/٥هـ (١٩٩٨/٩/٢٥م).

خلال عمر المركز القصير، ومن جملة تلك البرامج مايلي:

أ- إقامة دورات شرعية في جوانب عدة شارك فيها المئات من الفتية والفتيات.

ب- تنظيم ندوات ومحاضرات اجتماعية وثقافية لتوعية الشباب بدوره ورسالته.

ج- إعداد برامج إذاعية ومتلفزة، ثم بثها في وسائل الإعلام الشيشانية، لاسيما قناة القوقاز التلفازية.

د- ترجمة الكتب الإسلامية المعتمدة إلى اللغة الشيشانية والروسية وتوزيعها، وذلك بالتعاون مع المؤسسات الخيرية.

ه- إعداد مشروع لترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الشيشانية بأسلوب مبسط، ويقوم على إعداد هذا المشروع الشيخ أحمد حمزة رئيس المركز.

و- إنشاء مركز لتعليم الكمبيوتر حيث يتم تأهيل الطلاب من خلال دورة مكثفة لمدة ثلاثة أشهر، تغرس خلالها القيم الإسلامية.

ز- يقوم المركز بتيسير اتصال المؤسسات الإغاثية مع الحكومة الشيشانية من أجل إنجاز الأعمال القانونية، وتسهيل الإقامات والسكن لهم.

ح- يتعاون المركز مع المؤسسات الخيرية والإغاثية في تنفيذ مشاريعها، مثل حصر الأيتام لكفالتهم، وانتقاء الطلاب المتميزين للدراسات الإسلامية العليا في الخارج، وجمع المعلومات عن القرى والمناطق ذات الحاجة إلى بناء مساجد، ونشر الكتب الإسلامية والأشرطة باللغة العربية والمترجمة، وما إلى ذلك.

ي- تم إنشاء مركز نسائي ملحق بمركز الرسالة يقوم على توعية الأخوات المسلمات بدورهن ورسالتهن في الأسرة والمجتمع. وقد أقام هذا المركز مناشط عدة تختص بالمرأة المسلمة[1].

(١) لقاء مع الشيخ أحمد حمزة، وانظر: خطاب موجه من مركز الرسالة إلى هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية يشرح جهود المركز في مجال الدعوة، بتاريخ ١٩/ ١١/ ١٤١٤هـ (٣٠/ ٤/ ١٩٩٤م).

المطلب الثاني:
المؤسسات الخارجية:

تقوم مؤسسات عدة بجهود دعوية وإغاثية متميزة في المنطقة، ومن أهمها:

أولاً: هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية.

ثانياً: الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

ثالثاً: جمعية الإصلاح الاجتماعي الكويتية.

رابعاً: مؤسسة الحرمين الخيرية.

خامساً: اللجنة السعودية المشتركة لإغاثة كوسوفا والشيشان.

سادساً: مؤسسات أخرى.

وتفصيل ذلك كما يلي:

أولاً: هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية:

انبثقت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية عن رابطة العالم الإسلامي[١]، وبرزت الهيئة للوجود عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م). وهي هيئة شعبية تحتضنها المملكة العربية السعودية، وتلقى دعماً من المسلمين في مختلف بقاع العالم. وتقوم الهيئة بجهود كبيرة وموفقة لمساعدة المسلمين في كل مكان من خلال الأعمال الخيرية النبيلة في المجالات الإغاثية والتعليمية والدعوية وغيرها[٢].

لقد رأت الهيئة ضرورة مد يد العون للأخوة المسلمين في الاتحاد السوفييتي السابق بعد انهياره، فأنشأت لذلك لجنة خاصة اختارت لها شاباً نشطاً وشيخاً فاضلاً هو الدكتور عبد الحميد بن جعفر داغستاني، حيث عُين مديراً إقليمياً لأنشطة الهيئة في الجمهوريات المسلمة التي استقلت عن الاتحاد السوفييتي السابق وروسيا ومقره في العاصمة الأذرية باكو. ونستطيع أن نتعرف على أهم جهود هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية في منطقة شمال شرق القوقاز بمايلي:

● **١- الجهود الإغاثية:**

إن من أهم أهداف الهيئة إغاثة المنكوبين والمتضررين، والعمل على تخفيف وطأة المصاب الذي ألم بهم، ومن هنا فإن الهيئة قد نشطت في المجال الإغاثي حيث افتتحت مكتباً فرعياً في العاصمة الداغستانية «محاج قلعة» وذلك عام ١٤١٤هـ (١٩٩٤م)، وهي بذلك أول مؤسسة إسلامية عالمية تصل إلى المنطقة وتسهم في إغاثة المنكوبين والمتضررين، ومن أهم إنجازات الهيئة في المجال الإغاثي والصحي مايلي:

أ- تقديم مساعدات إنسانية لجمعية المكفوفين في داغستان وذلك في شهر صفر من عام ١٤١٥هـ (يوليو ١٩٩٤م)[٣].

ب- بعد إصابة بعض مناطق داغستان بوباء الكوليرا عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م). قدمت

---

(١) رابطة العالم الإسلامي: أنشئت عام ١٣٨١هـ (١٩٦٢م) في مكة المكرمة، وتضم ممثلين من مختلف البلاد الإسلامية، وتعمل الرابطة على دعم تضامن المسلمين، والاهتمام بنشر الفكر الإسلامي، والدعوة إلى دين الله تعالى، ودعم جهاد الشعوب المسلمة. انظر: د. صالح بن غانم السدلان «الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية» ص ٢٢١، ط (١) دار بلنسية ـ الرياض، ١٤١٧هـ (١٩٩٧م).

(٢) انظر: د. صالح بن غانم السدلان «الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية» ص ٢٨٣.

(٣) من وثيقة لهيئة الإغاثة (مكتب محاج قلعة) بتاريخ ١٢/ ٥/ ١٤١٥هـ (١٧/ ١٠/ ١٩٩٤م).

الهيئة مساعدات طبية تم توزيعها على ثماني مستشفيات ومراكز صحية في المناطق المتأثرة بالوباء، وتشمل عشرة أطنان من الأدوية أو المستحضرات الطبية، وقد كان لهذه المساعدات أثر طيب على المستويين الشعبي والرسمي[١].

ج- على إثر المشكلة الحدودية التي نشبت بين أنغوشيا وأوسيتيا الشمالية عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) قامت الهيئة بإرسال مساعدات إنسانية للمسلمين الأنغوش الذين طردوا من قراهم وبيوتهم[٢].

د- مساعدة المتضررين من فيضانات بحر قزوين. فقد حدثت فيضانات لبحر قزوين في جمهورية داغستان أصابت جزيرة «تشيتشين»، لم يحدث لها مثيل منذ ما يزيد عن مائة عام، تضرر على إثرها الآلاف. وقد تمثلت مساعدات الهيئة في إرسال مواد غذائية عاجلة إلى المتضررين[٣].

ه- بعد الاجتياح الروسي لجمهورية الشيشان ونزوح آلاف اللاجئين الذين قصفت قراهم وبيوتهم، حيث نزحوا إلى جمهوريتي داغستان وأنغوشيا، أسرعت الهيئة لإغاثة أولئك المتضررين المنكوبين، وقد تمثلت مساعداتها في التالي:

١- فتح ثلاثة مراكز في داغستان لاستقبال اللاجئين وتوزيع المواد الغذائية والملابس والأدوية عليهم.

٢- تقديم أكثر من سبعمائة طن من المواد الغذائية للاجئين الشيشان في كل من داغستان وأنغوشيا. وتوزيع عشرات الحاويات من الملابس والمواد الطبية.

٣- فتح وتشغيل مستشفيين لمعالجة مرضى السل في داغستان.

٤- فتح وتشغيل سبع عيادات طبية في جمهوريتي داغستان وأنغوشيا. وقد حصلت الهيئة نتيجة ذلك على خطابات شكر مقدمة من حكومتي داغستان وأنغوشيا وقباردين بلقار وروسيا[٤].

و- تنفيذ برنامج إفطار صائم وبرنامج الأضاحي، حيث يستفيد من هذين البرنامجين آلاف المحتاجين من المسلمين الشيشان والداغستان. وقد أنفق على برنامج إفطار الصائم

---

(١) المصدر السابق.

(٢) من وثيقة لهيئة الإغاثة (مكتب موسكو) بتاريخ ٢٨/ ٣/ ١٤١٥هـ (٤/ ٩/ ١٩٩٤م).

(٣) من وثيقة لهيئة الإغاثة (مكتب باكو) بتاريخ ٢٧/ ١/ ١٤١٦هـ (٢٥/ ٦/ ١٩٩٥م).

(٤) من وثيقة لهيئة الإغاثة (مكتب موسكو) عام ١٤١٥هـ (١٩٩٦م).

لشهر رمضان من عام ١٤١٦هـ ما مجموعه ٦٩,٣٣٣ ألف دولار[١].

ز- كفالة المئات من الأيتام الشيشان الذين فقدوا الأبوين في الحرب[٢].

● **٢- الجهود التعليمية والدعوية:**

لقد كان لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية جهود تعليمية ودعوية طيبة في شمال شرق القوقاز ـ لاسيما في داغستان ـ فقد بلغ عدد المعاهد والمدارس الرئيسة التي أنشأتها أو كفلتها الهيئة ثلاثة، هي على النحو التالي:

أ- جامعة الإمام الشافعي الإسلامية في داغستان (بنين).

ب- مدرسة عائشة أم المؤمنين في داغستان (بنات).

ج- معهد زين العابدين في داغستان (بنين).

وقد بلغ عدد الأساتذة المعلمين والمعلمات العرب ما يقرب من خمسة وعشرين معلماً ومعلمة عام ١٤١٦هـ (١٩٩٦م)، أما عدد المعلمين والمعلمات المحليات فقد زاد عن المائة[٣].

والجدول التالي يبين عدد الطلاب، ونوعية التعليم للمؤسسات التعليمية سابقة الذكر:

جدول رقم (٣): بيان ببعض المؤسسات التعليمية المكفولة من هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بداغستان وعدد طلابها ونوعية تعليمها عام ١٤١٦هـ (١٩٩٦م)[٤].

الرقم	المؤسسة التعليمية	عدد الطلاب	نوعية التعليم
(١)	جامعة الإمام الشافعي الإسلامية (بنين)	٣٥٠	لغة عربية + علوم إسلامية + كمبيوتر
(٢)	مدرسة عائشة أم المؤمنين (بنات)	١٥٠	لغة عربية + علوم إسلامية + تدبير منزلي
(٣)	معهد زين العابدين	١٢٠	لغة عربية + علوم إسلامية

(١) من وثيقة لهيئة الإغاثة (مكتب باكو) بتاريخ ١٨/ ٩/ ١٤١٦هـ (٧/ ٢/ ١٩٩٦م).

(٢) من وثيقة لهيئة الإغاثة (مكتب باكو) بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ١٤١٦هـ (١٦/ ٣/ ١٩٩٦م).

(٣) من وثيقة لهيئة الإغاثة (مكتب باكو) بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ١٤١٦هـ (١٦/ ٣/ ١٩٩٦م).

(٤) المصدر السابق.

بالإضافة إلى ما سبق فإن للهيئة معلمين ودعاة ومحفظين لكتاب الله تعالى منتشرين في مساجد المدن والقرى، وقد زاد عددهم عن مائتي معلم وداعية في منطقة شمال شرق القوقاز[١].

تقدم الهيئة في المدارس التي تكفلها كتباً لتعليم اللغة العربية والكتب الشرعية المقررة، كما تقدم المصحف الشريف أو أجزاء منه لتعليم وحفظ القرآن الكريم، وتقوم الهيئة ـ عند الحاجة ـ بطباعة وتوزيع بعض الكتب التعليمية المطلوبة في المدارس والمعاهد، ككتاب «تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها» الذي وزع منه ما يقرب من سبعين ألف نسخة، حث استفادت منه جل المدارس والجمعيات الخيرية المحلية في المنطقة. وتسهم الكتب الإسلامية المعتمدة المترجمة التي تقوم الهيئة بطباعتها وتوزيعها بدعم الجهود التعليمية والتثقيفية، لاسيما مع خلو المنطقة من تلك المؤلفات التي هي في أمس الحاجة إليها[٢].

ولمزيد من البيان نلقي بعض الضوء على أهم المؤسسات التعليمية التي كانت ترعاها وتكفلها هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية وهي جامعة الإمام الشافعي الإسلامية.

جامعة الإمام الشافعي الإسلامية:

تقع جامعة الإمام الشافعي الإسلامية في وسط العاصمة «محاج قلعة» في أهم وأجمل شوارعها وهو شاعر لينينا، بالقرب من مبنى رئاسة الجمهورية ومجلس الوزراء.

ومرافق الجامعة في حالة جيدة، حيث تشتمل على الفصول الدراسية ومبنى الإدارة، بالإضافة إلى المسجد والمكتبة والمطعم، وتجدر الإشارة إلى أن الجامعة منشأة قبل مجيء هيئة الإغاثة إلى المنطقة، غير أن دعم الهيئة للجامعة علمياً وتربوياً ومادياً أسهم بشكل ملحوظ في تقدم الجامعة، ورفع المستوى العلمي والتربوي لخريجيها.

أهداف الجامعة:

١- نشر العلم الشرعي المبني على ثوابت القرآن والسنة.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) من وثيقة لهيئة الإغاثة (مكتب باكو) بتاريخ ٢٧/ ١٠/ ١٤١٦هـ (١٦/ ٣/ ١٩٩٦م).

٢- تعليم اللغة العربية من أجل فهم القرآن الكريم وتعاليمه.

٣- تربية الشباب وتنشئته على تعاليم الإسلام.

٤- تأهيل الكوادر اللازمة للقيام بمهمة التعليم والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة[١].

أهم إنجازات الجامعة:

خطت جامعة الإمام الشافعي الإسلامية خطوات مميزة رغم حداثة استئناف العمل التربوي والتعليمي فيها، فقد انتظمت مناهجها وأنظمتها الدراسية، مما انعكس ذلك بشكل إيجابي على التحصيل العلمي والتربوي للطلاب، وأكسبها سمعة طيبة تجاوزت حدود داغستان، وجعل العديد من الصحف المحلية تتابع أخبارها وتشيد بجهود القائمين عليها، كما حصلت الجامعة على اعتراف رسمي من قبل مجلس الوزراء[٢].

إن من أهم إنجازات الجامعة أنها خرّجت ما يقرب من خمسين طالباً، وما يقرب من خمس عشرة طالبة، يتمتعون بقدر جيد من التحصيل العلمي الشرعي والتربوي، ما يؤهلهم بكل جدارة واقتدار للقيام بواجب الدعوة والتعليم على علم وفهم وخلق - بإذن الله تعالى - يتحدث هؤلاء الخريجون العربية بكل طلاقة وكأنهم درسوها في موطنها[٣].

وضع الجامعة الآن:

اضطرب وضع الجامعة وضعف مستواها العلمي - بكل أسف - بعد أن غادرها الأساتذة العرب مع نهاية العام الدراسي ١٩٩٩-١٤٢٠هـ، وتوقف الدعم المالي من هيئة الإغاثة الإسلامية، وتقلص عدد المدرسين. ومعلوم أن أسباب ذلك تعود إلى حالة الحرب التي لحقت المنطقة، مما ألحق الضرر الكبير بمؤسسات الدعوة الإسلامية في المنطقة.

---

(١) أفاد بذلك أحد أساتذة الجامعة عندما التقاه الباحث في العاصمة الروسية موسكو في شهر جمادى الأولى ١٤٢٠هـ (سبتمبر ١٩٩٩م).

(٢) المصدر: تقرير مرفوع من إدارة جامعة الإمام الشافعي الإسلامية إلى المدير الإقليمي لهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية - فرع موسكو - بتاريخ ٣٠ محرم ١٤١٦هـ (٢٨/٦/١٩٩٥م) - بتصرف -.

(٣) يحفظ الطلاب كتاب «ألفية ابن مالك» في النحو. ويحفظون قدراً جيداً من القرآن الكريم مما يمكنهم من إجادة العربية بطلاقة واقتدار، وقد أثبت الطلاب ذلك عند اشتراكهم في مسابقات اللغة العربية التي نظمتها الدولة حيث كان نصيبهم في كل مسابقة الفوز بالمركز الأول. ذكره أحد الأساتذة عندما التقاه الباحث.

ثانياً: الندوة العالمية للشباب الإسلامي:

الندوة العالمية للشباب الإسلامي هيئة إسلامية عالمية، ذات شخصية اعتبارية مستقلة لخدمة الشباب المسلم، تهدف إلى خدمة الفكر الإسلامي، وتعميق الشعور الديني بالتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتصحيح أفكار واتجاهات الشباب المسلم، والتعاون والتنسيق في مجالات النشاط الإسلامي.

لقد شقت الندوة العالمية للشباب الإسلامي طريقها كياناً كبيراً يضم بين جوانبه منظمات العمل الشبابي الإسلامي في العالم، وملتقى فكرياً يستمد خطته ووجهته من دعوة الإسلام، ومجالاً مناسباً للعمل من أجل شباب الأمة ومستقبله وسلامة كيانه، وكان ذلك ـ بفضل الله ـ عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م)[١].

- **جهود الندوة الدعوية في المنطقة:**

إن من أولى أهداف الندوة العمل على تسليح الشباب بالحجة والعلم، من هنا فقد حرصت الندوة على إنشاء المعاهد الشرعية العليا في منطقة شمال شرق القوقاز، وتحديداً في جمهورية أنغوشيا. كما أن للندوة جهوداً دعوية وإغاثية أخرى. ومن أهم منجزات الندوة مايلي:

١- معهد البر الإسلامي:

تأسس المعهد عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) بمدينة «ملغابيك» بجمهورية أنغوشيا، ومقر المعهد هو نفس مقر الحزب الشيوعي السابق! وبفضل الله تعالى استطاع الأستاذ عيسى ابن سلطان (مدير المعهد) أخذ هذا المبنى من الحكومة والعمل على صيانته وترميمه.

بلغ عدد الطلاب في المعهد ١١٢ طالباً عام ١٤١٦هـ (١٩٩٦م)، يسكن منهم ٧٧ طالباً في السكن الداخلي، أما الباقون فبيوتهم قريبة من المعهد[٢].

---

(١) انظر: د. صالح بن غانم السدلان «الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية» ص ٢٠٩، وانظر: «الموسوعة العربية العالمية» ٢٤/ ٢٧٢.

(٢) من تقرير زيارة ميدانية لمعهد البر قام بها بعض مسؤولي الندوة العالمية للشباب الإسلامي بتاريخ ٢٨ رجب ١٤١٧هـ (٩/ ١٢/ ١٩٩٦م).

أما الأساتذة فهم محليون وعرب، وقد بلغ عدد الأساتذة العرب أربعة مدرسين، ومدة الدراسة في المعهد أربع سنوات من غير السنة التحضيرية التي يكون التركيز فيها على تعلم اللغة العربية[١].

ومن الجدير بالذكر أن المستوى العلمي لطلاب معهد البر متميز، وذلك نتيجة الجهود الكبيرة التي بذلها مدير الشيخ عيسى سلطانوف لرفع مستوى الكفاءة العلمية والدعوية لطلاب المعهد، أما المناهج الدراسية المقررة فبالإضافة إلى تعلم اللغة العربية والروسية، يحفظ الطالب جزءاً من القرآن الكريم في كل عام، ويتعلم علوم القرآن الكريم، وآيات الأحكام، وأحاديث الأحكام، ومصطلح الحديث، والفقه المقارن، وتجويد القرآن وتلاوته، بالإضافة إلى بعض المواد العلمية الأخرى.

ويذكر أن هذا المعهد قد أغلق عام ١٤١٨هـ (١٩٩٨م) بتحريض من بعض خصوم الدعوة الإسلامية ومن بعض المنتسبين للإدارة الدينية! وبإغلاق هذا المعهد خسرت المنطقة منبعاً من منابع الخير، يأوي إليه العطشى ويلتجئ إليه طلاب الهداية[٢]. وقد أتم بعض طلاب المعهد حفظ القرآن الكريم كاملاً في سابقة أولى في جمهورية أنغوشيا، فكرمهم رئيس الدولة في حفل كبير.

٢- معهد الملك فهد سابقاً (المعهد الإسلامي حالياً):

أسس الأستاذ محمد بشير أوشوف معهداً إسلامياً للطلاب والطالبات بمدينة «سليبسوفسك» الأنغوشية أسماه «معهد الملك فهد» تيمناً بخادم الحرمين الشريفين، وذلك عام ١٤١٣هـ (١٩٩٣م)، وطلب من الندوة العالمية دعم جهود المعهد من أجل تحقيق رسالته، وبعد دراسة الطلب وافقت الندوة على دعم المعهد وتزويده ببعض الأساتذة العرب مع ضرورة إعادة النظر بمستوى المناهج الدراسية، وضرورة تعزيزها وتقويتها، وقد بلغ عدد الطلاب ٩٧ طالباً، وعدد الطالبات ٧٨ طالبة عام ١٤١٦هـ (١٩٩٦م)[٣].

---

(١) ذكره الأستاذ عمار البحر مدير مكتب الندوة العالمية في أنغوشيا، حيث التقاه الباحث في موسكو بتاريخ ٩ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ (٢٠/ ٨/ ١٩٩٩م).

(٢) التحق بعض طلاب معهد البر بعد إغلاقه بالمعهد الإسلامي، كما التحق البعض الآخر بالجامعات الإسلامية في بعض الدول العربية، وقد التقى الباحث العديد من هؤلاء الطلاب.

(٣) من تقرير عن المعهد بعد زيارة ميدانية لبعض مسؤولي الندوة العالمية بتاريخ ٢/ ٨/ ١٤١٧هـ (١٢/ ١٢/ ١٩٩٦م).

الكادر الإداري والمناهج الدراسية:

يتكون الكادر الإداري من:

الأستاذ محمد بشير أوشوف ـ مدير المعهد.

الأستاذ عبد العزيز (مصري الجنسية) مبعوث من جامعة الأزهر.

بالإضافة إلى أربعة أساتذة عرب بعثتهم الندوة العالمية، تم تعيينهم عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) واثنتان من المعلمات العربيات (زوجات للأساتذة) بعثتهم الندوة العالمية، وثلاثة عشر أستاذاً محلياً[١].

مدة الدراسة بالمعهد ست سنوات، يتلقى فيها الطلاب والطالبات العلوم التالية:

- القرآن الكريم (تلاوة وحفظاً لبعض أجزائه).
- الفقه (على مذهب الإمام الشافعي).
- اللغة العربية، والنحو، والصرف.
- الحديث النبوي.
- اللغة الروسية، واللغة الإنكليزية.

وقد لوحظ على المعهد ضعف مستوى الأساتذة المحليين وضعف ضبط الجوانب الإدارية[٢]. لم يستمر دعم الندوة العالمية للشباب الإسلامي للمعهد، لاسيما بعد صدور إجراءات محلية بترحيل الأساتذة العرب بتاريخ ٧/ ٤/ ١٤١٩هـ (٣٠/ ٧/ ١٩٩٨م)[٣]، وذلك بتحريض من خصوم الدعوة الإسلامية الروس والمحليين.

٣- جهود دعوية وإغاثية أخر :

لم تقتصر جهود الندوة العالمية للشباب على الجهود التعليمية بل تجاوزت ذلك إلى جوانب أخرى، نذكر منها مايلي:

- تنظيم حملات إغاثية لنصرة المسلمين الشيشان.

---

(١) ذكر الأستاذ عمار البحر في لقاء بتاريخ ٩/ ٥/ ١٤٢٠هـ (٢٠/ ٨/ ١٩٩٩م).

(٢) من تقرير عن المعهد بعد زيارة ميدانية لبعض مسؤولي الندوة العالمية في ٢/ ٨/ ١٤١٧هـ (١٢/ ١٢/ ١٩٩٦م).

(٣) انظر: صحيفة «لواء الإسلام» باللغة الروسية، العدد ١-٢ لشهري يناير وفبراير من عام ١٩٩٩م. كما ذكر ذلك العديد من الدعاة الذين التقاهم الباحث في أنغوشيا.

- بناء عدد من المساجد في المنطقة، ألحق ببعضها مراكز لتحفيظ القرآن الكريم.
- كفالة بعض الأئمة والدعاة ومعلمي القرآن الكريم.
- طباعة وتوزيع العديد من الكتب والكتيبات في شتى العلوم الإسلامية.
- مساعدة الطلاب للالتحاق بالجامعات العربية والإسلامية، لاسيما جامعات المملكة العربية السعودية.
- إقامة مشروعات الأضاحي وإفطار الصائم.

ثالثاً: جمعية الإصلاح الاجتماعي الكويتية:

جمعية الإصلاح الاجتماعي مؤسسة إسلامية مقرها دولة الكويت تعنى بشؤون الدعوة الإسلامية، وتعمل على نشرها داخل الكويت وخارجها بشتى الوسائل المتاحة بالحكمة والموعظة الحسنة. أنشأت الجمعية لجاناً عدة لتحقيق هدف نشر الدعوة الإسلامية في ربوع الأرض، منها لجنة الدعوة الإسلامية.

وتهدف لجنة الدعوة الإسلامية في عملها الدعوي الخيري إلى تحقيق التالي:

أ- تعميق معاني الإيمان بالله تعالى وإزالة رواسب الإلحاد والشرك.

ب- بناء قيم وأخلاق الأمة على ثوابت القرآن الكريم والسنة المطهرة.

ج- نشر تعاليم الإسلام وتسليح الشباب بالعلم النافع والعمل الصالح.

د- العمل على رفع معاناة الشعوب المسلمة والنهوض بها من دركات الجهل والفقر والتخلف.

- **ومن أهم منجزات لجنة الدعوة الإسلامية في منطقة شمال شرق القوقاز مايلي:**

١- إنشاء معهد اللغة العربية والدراسات الإسلامية (جمهورية الشيشان):

يعد هذا المعهد الأول من نوعه في جمهورية الشيشان حيث يقع في العاصمة غروزني، وقد أنشئ بالاتفاق مع وزارة التربية الشيشانية من أجل تأهيل طلائع الشباب من الطلاب والطالبات للقيام بمهمة التعليم والتربية والدعوة في مدارس وزارة التربية. ويقوم على شؤون المعهد خمسة من الأساتذة العرب ومجموعة من الأساتذة المحليين.

بدأ العمل في المعهد عام ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) ثم توقف بعد قيام الحرب، واستؤنف العمل به بعد ذلك، حيث بلغ عدد طلابه عام ١٤١٨هـ (١٩٩٨م) ١٦٠ (مائة وستين)

طالباً وطالبة، يدرسون المواد الشرعية الإسلامية واللغة العربية بتعمق في أربع سنوات، يحفظون في كل عام جزءاً ونصف من القرآن الكريم، مع تعلم التلاوة والتجويد ومعاني الآيات القرآنية[١].

٢- إنشاء المدرسة الشيشانية الكويتية:

تقع المدرسة الشيشانية الكويتية في مدينة آرغون التي تبعد قرابة ١٥ كم عن العاصمة غروزني. ويبدأ الطلاب الالتحاق بالمدرسة من الصف الخامس (أي أنها مدرسة متوسطة) وقد تم إنشاؤها عام ١٤١٤هـ (١٩٩٤م).

مناهجها الدراسية هي ذات المناهج المعتمدة لدى الدولة، مضافاً إليها مناهج اللغة العربية من كتاب «تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها» إصدار جامعة أم القرى[٢]، وكذلك منهج متكامل للتربية الإسلامية تم إعداده وترجمته من قبل أساتذة عرب ومحليين. يضاف إلى ذلك مادة حفظ القرآن الكريم وتلاوته وتجويده وتعلم معانيه، حيث يحفظون في كل عام جزءاً من القرآن الكريم[٣].

٣- المركز النسائي الثقافي:

تم إنشاء المركز النسائي الثقافي عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م) في العاصمة الشيشانية، ويهدف إنشاؤه إلى نشر الوعي والثقافة الإسلامية في الأوساط النسائية، وتأهيلهن تربوياً وعملياً للقيام بمسؤولياتهن في البيت والأسرة. ويشمل برنامج المركز دورات تأهيلية لمدة ستة أشهر، تتعلم فيها المرأة فنون الطبخ والخياطة والتدبير المنزلي بالإضافة إلى مواد التربية الإسلامية واللغة العربية في ست ساعات يومياً.

---

(١) زار الباحث المعهد خلال زيارته الميدانية للمنطقة والتقى بالأساتذة والطلاب، واطلع على المستوى العلمي الجيد الذي يتمتع به طلاب المعهد. كما أفاد ببعض المعلومات من الأستاذ عمر الفاروق مدير مكتب لجنة الدعوة الإسلامية في الشيشان حيث التقاه الباحث في موسكو بتاريخ ٤/ ٥/ ١٤٢٠هـ (١٥/ ٨/ ١٩٩٩م).

(٢) جامعة أم القرى: صدر قرار إنشاء جامعة أم القرى في ٢٢/ ٦/ ١٤٠١هـ (٢٦/ ٤/ ١٩٨١م) وتضم الجامعة أكثر من ٥٠ قسماً للبنين والبنات ومعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها. وتحتوي على ثماني كليات، كما تم إنشاء معهد للبحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي. انظر: د. صالح بن غانم السدلان «الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية» ص ٩٧-٩٨.

(٣) زار الباحث المدرسة واطلع على المستوى الجيد للطلاب، كما أفاد ببعض المعلومات الأستاذ عمر الفاروق مدير مكتب لجنة الدعوة الإسلامية في غروزني.

وقد لاقى المركز إقبالاً متزايداً لدى النسوة، فقد التحق خلال الدورة الأولى ٦٥ متعلمة، وفي الدورة الثانية ٨٠ متعلمة[١].

٤- مشروعات وبرامج دعوية وإغاثية أخرى:

وبالإضافة إلى ما سبق فإن للجنة الدعوة الإسلامية مشروعات وبرامج دعوية كثيرة في شمال شرق القوقاز، منها مايلي:

- بناء عدد من المساجد في الشيشان وأنغوشيا ألحق ببعضها مراكز لتحفيظ القرآن الكريم.
- كفالة عشرات الأئمة والدعاة ومحفظي القرآن الكريم.
- إقامة مشروعات الأضاحي وإفطار الصائم في العديد من المساجد.
- تنظيم حملات عدة لإغاثة اللاجئين الشيشان عامي ١٤١٥-١٤١٦هـ (١٩٩٦-١٩٩٧م).
- ترجمة وطباعة وتوزيع العديد من الكتب الإسلامية المعتمدة.
- توزيع مئات الأشرطة الإسلامية السمعية والبصرية (الفيديو) لاسيما تلك التي تعنى ببيان صور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والرد على شبهات الملحدين في داغستان والشيشان.
- مساعدة الطلاب على الالتحاق بالجامعات العربية والإسلامية.

رابعاً: مؤسسة الحرمين الخيرية:

هي أحد روافد الخير التي تنطلق من بلاد الحرمين الشريفين، تعنى بالدعوة إلى الله وتعليم أبناء المسلمين ومساعدة الفقراء والمعوزين داخل المملكة وخارجها، ويشرف على أعمال المؤسسة معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

وقد تأسست عام ١٤١٢هـ بمدينة الرياض، وهي تسعى لتحقيق جملة من الأهداف منها مايلي:

١- ترسيخ العقيدة في قلوب المسلمين بالكتاب والسنة.

٢- نشر العلم الشرعي في المجتمعات الإسلامية.

---

(١) أفاد بذلك الأستاذ عمر الفاروق في لقاء مع الباحث بتاريخ ٤/ ٥/ ١٤٢٠هـ (١٥/ ٨/ ١٩٩٨م).

٣- التركيز على تعليم السنة الصحيحة وبيان أهميتها في فهم العقيدة والعبادة والسلوك.

٤- المسارعة إلى إغاثة المسلمين عند نزول الكوارث والنكبات[١].

ومن أهم منجزات وجهود المؤسسة في شمال شرق القوقاز مايلي:

أ- في المجال الدعوي:

١- كفالة عدد ٢٥ داعية في الشيشان وذلك في عام ١٤١٧هـ (١٩٩٧م).

٢- توزيع حقيبة للمرأة المسلمة تسمى «حقيبة العفاف» تشتمل على مايلي:

لباس شرعي كامل للمرأة، المصحف الشريف، كتيبات دعوية وشرعية تخص المرأة، شريط إسلامي توجيهي. وقد تم توزيع مئات الحقائب في المنطقة، لاسيما في مخيمات اللاجئين الشيشان.

٣- كفالة معهد القضاء الشرعي بالقرب من العاصمة الشيشانية غروزني، حيث يقوم على المعهد الشيخ محمد بن عبد الله السيف.

٤- بناء وترميم بعض المساجد في الشيشان.

٥- إقامة ولائم الإفطار ومشروع نحر الأضاحي سنوياً.

٦- كفالة العشرات من الحجاج إلى بيت الله الحرام في كل عام.

ب- في المجال الإغاثي:

١- إقامة مخيم متكامل في جورجيا يضم ٣٥٠ عائلة شيشانية، مع كفالتهم من جميع النواحي الصحية والغذائية والدعوية.

٢- إقامة مخيم متكامل في الأردن يضم مئات العوائل الشيشانية.

٣- إقامة مخيم متكامل في تركيا يضم ٢٥٠ عائلة شيشانية.

٤- اعتماد ميزانية شهرية قدرها ٢٠٠ ألف ريال تخصص لتغطية مصاريف الجرحى، وذلك ابتداء من شهر شوال ١٤٢٠هـ[٢].

---

(١) انظر: نشرة تعريفية بالمؤسسة بعنوان «مؤسسة الحرمين الخيرية».

(٢) لقاء للباحث مع أحد مسؤولي مؤسسة الحرمين الخيرية، وذلك بتاريخ ٢٠ محرم ١٤٢٢هـ (١٤/ ٤/ ٢٠٠١م).

خامساً: اللجنة السعودية المشتركة لإغاثة كوسوفا والشيشان:

بهدف توحيد وتنظيم جهود المؤسسات الإسلامية في مجال العمل الإغاثي لنصرة المسلمين في كوسوفا والشيشان، صدر الأمر السامي بتأسيس اللجنة السعودية المشتركة لإغاثة كوسوفا والشيشان.

وتتركز جهود اللجنة في المجالات الإغاثية، حيث قامت بتوقيع مذكرة تفاهم مع الحكومة الروسية يتم بموجبها تقديم المساعدات الإغاثية للمهاجرين من شعب الشيشان. فأنشأت مكتباً لها في جمهورية الأنغوش للإشراف على هذه المهمة الإنسانية وذلك في عام ١٤٢٠هـ.

لقد نفذت اللجنة أعمالها الإغاثية عن طريق جمعية الهلال الأحمر السعودي، إذ أنها الجهة المسموح لها بالعمل الإغاثي في روسيا. وتتلخص منجزات اللجنة فيمايلي:

١- إنشاء مخيم متكامل كبير لإيواء المهاجرين الشيشان في أنغوشيا عام ١٤٢١هـ.

٢- توزيع مئات الأطنان من الأغذية والملابس والأغطية.

٣- إنشاء أربعة مساجد بجوار المخيم.

٤- إنشاء مدرسة داخل المخيم.

٥- في مجال الرعاية الصحية أطلقت اللجنة حملة تطعيم في المخيمات ضد مرض السل، كما زودت المستشفيات بأنغوشيا بالأمصال الواقية من الأمراض المعدية.

٦- تأمين عدد ٦ سيارات إسعاف تعمل كعيادات متنقلة بين المخيمات.

٧- أنشأت اللجنة مركزاً صحياً في مدينة نزران بأنغوشيا لتقديم الخدمات الطبية للاجئين.

٨- توفير كميات كبيرة من الأدوية، وتقديم الرعاية الصحية للمواليد، وغير ذلك.

سادساً: مؤسسات أخرى:

وهي كمايلي:

١- البنك الإسلامي للتنمية[١].

٢- لجنة مسلمي آسيا الكويتية.

٣- جمعية قطر الخيرية.

٤- جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتية.

٥- مجمع أبي النور الإسلامي بدمشق.

ومن الإيجاز إلى التفصيل:

١- البنك الإسلامي للتنمية:

لقد كان للبنك الإسلامي للتنيمة إسهامات إغاثية وتعليمية في منطقة شمال شرق القوقاز، ومن ذلك مايلي:

- قام البنك بالتعاون مع هيئة الإغاثة الإسلامية بتوقيع مذكرة تفاهم بتاريخ ١٠/ ١١/ ١٤١٥هـ (١٠/ ٤/ ١٩٩٥م) بشأن تنفيذ منحة إغاثية مقدمة من البنك مخصصة للاجئين الشيشان لشراء وتوزيع مواد غذائية وطبية: مبلغ ١٠٠ ألف دولار أمريكي[٢].

- إرسال معونات إغاثية عاجلة لضحايا الزلزال، ضرب داغستان عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) بمبلغ ١٥٠ ألف دولار أمريكي[٣].

- إيفاد عشرات الطلاب من داغستان والشيشان والأنغوش في منح دراسية لاستكمال

---

(١) البنك الإسلامي للتنمية: مؤسسة مالية دولية، أنشئت عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) عن مؤتمر وزراء مالية الدول الإسلامية، يهدف البنك إلى دعم التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي لشعوب الدول الأعضاء والمجتمعات الإسلامية وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية. انظر: «البنك الإسلامي للتنمية ـ التقرير السنوي ١٤١٩هـ» ص ٦، ط شركة المدينة المنورة ـ جدة، ١٤١٩هـ (١٩٩٨-١٩٩٩م).

(٢) انظر: وثيقة التفاهم بين البنك الإسلامي للتنمية وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، بتاريخ ١٠/ ١١/ ١٤١٥هـ (١٠/ ٤/ ١٩٩٥م).

(٣) انظر: «البنك الإسلامي للتنمية ـ التقرير السنوي ١٤١٩هـ» ص ٢٥١.

الدراسات الإسلامية وغيرها من التخصصات الحيوية كالطب والهندسة[١].

٢- لجنة مسلمي آسيا الكويتية[٢]:

تركزت جهود اللجنة على الجوانب الإغاثية والتعليمية والدعوية، ونذكر منها مايلي:

- تنظيم مؤتمرات عدة تعنى بواقع المسلمين من أجل النهوض بمستوياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية.
- تنظيم حملات إغاثة للاجئين الشيشان بالتعاون مع المنظمات الإسلامية والعالمية.
- تنفيذ مشروعات الأضاحي وإفطار الصائم في داغستان والشيشان سنوياً.
- كفالة عشرات الطلاب من المنطقة للدراسة في المعهد الديني بدولة الكويت[٣].

٣- جمعية قطر الخيرية:

أسهمت الجمعية بجهود في المجالات الدعوية والإغاثية من خلال مكتب الجمعية الإقليمي الواقع في مدينة «باكو» عاصمة أذربيجان. فقد أنشأت عام ١٤١٩هـ (١٩٩٩م) معهداً في العاصمة الشيشانية يهدف إلى تأهيل المعلمين والدعاة، كما نظمت حملة لإغاثة اللاجئين الشيشان في حربهم ضد الروس عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م)[٤].

٤- جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتية:

للجمعية جهود دعوية وإغاثية وصحية في شمال شرق القوقاز، منها على سبيل المثال مايلي:

- كفالة عشرات الأسر الشيشانية التي شردتها الحرب عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م).
- إقامة بعض المراكز الصحية لإسعاف الجرحى الشيشان في جمهورية جورجيا.

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٢) لجنة مسلمي آسيا مؤسسة خيرية كويتية تابعة للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية تعنى بنشر الدعوة الإسلامية والعمل على رفع المعاناة والفقر والجهل عن المسلمين في قارة آسيا ذكره أحد مسؤولي اللجنة في لقاء مع الباحث.

(٣) من لقاءات عدة للباحث مع مسؤولي اللجنة، ومشاركة للباحث في بعض المؤتمرات.

(٤) ذكر ذلك الأستاذ عمار البحر في لقاء مع الباحث في العاصمة موسكو بتاريخ ٩ جمادى الأولى ١٤٢٠هـ (٢٠/ ٨/ ١٩٩٩م).

- ترجمة بعض الكتب الشرعية إلى اللغة الروسية وتوزيعها، ومن أهمها كتاب «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله.

- كفالة بعض المسلمين والدعاة في كل من داغستان والشيشان[١].

٥- مجمع أبي النور الإسلامي بدمشق[٢]:

في لقاء للباحث مع الأستاذ «محمد كريم» مدير مكتب المنح الدراسية في مجمع أبي النور الإسلامي في العاصمة السورية «دمشق» تحدث الأستاذ عن جهود المركز الدعوية التي استهدفت منطقة شمال شرق القوقاز فقال:

«التواصل مع الإخوة الشيشان والداغستان بدأ منذ ما يقرب سبع سنين، وفي دمشق الآن ما يزيد عن ١٥٠ (مائة وخمسين) طالباً يدرسون في معاهد إسلامية ومعاهد تعليم اللغات، نصفهم في معهد أبي النور الإسلامي. ونحن نتابع هؤلاء الطلاب ليس فقط في الجوانب العلمية، وإنما نحرص على إعدادهم دعوياً وأخلاقياً وإيمانياً»[٣].

ومنذ عام ١٤١٣هـ (١٩٩٢م) ينظم القائمون على المجمع صيف كل عام دورة شرعية مكثفة لمدة ثلاثة أشهر لتأهيل الأئمة والخطباء والدعاة، يحضرها سنوياً ما يقرب من ٢٠٠ (مائتي) طالب من داغستان والشيشان والأنغوش[٤].

٦- بالإضافة إلى ما سبق فإن هناك العديد من المؤسسات الإسلامية التي بذلت ولازالت تبذل جهوداً طيبة في مجالات الدعوة أو الإغاثة في شمال شرق القوقاز، ومنها مايلي:

أ- المركز الإسلامي الداغستاني، ومقره العاصمة الداغستانية «محاج قلعة»، وقد كان يرأسه الشيخ أحمد قاضي رحمه الله.

---

(١) ذكره بأحد مسؤولي جمعية إحياء التراث الإسلامي في لقاء مع الباحث في دولة الكويت بتاريخ ١ محرم ١٤٢١هـ (٥/ ٤/ ٢٠٠٠م).

(٢) مجمع أبي النور بدمشق يقوم بجهود دعوية كبيرة ويشرف عليه مفتي الجمهورية العربية السورية.

(٣) أ. محمد كريم مدير مكتب المنح الدراسية في مجمع أبي النور الإسلامي في لقاء مع الباحث في العاصمة السورية بتاريخ ٢٧/ ٧/ ١٤١٨هـ (٢٧/ ١١/ ١٩٩٧م).

(٤) ذكر ذلك أ. محمد كريم في لقاء مع الباحث.

ب- مركز القفقاس الإسلامي، ومقره جمهورية داغستان، ويرأسه الشيخ بهاء الدين محمد الأواري.

ج- جمعية المصباح المنير، ومقرها العاصمة الداغستانية محاج قلعة.

د- نقابة الأطباء المسلمين، ومقرها العاصمة الشيشانية، ويرأسها الدكتور إسلام حليموف، وزير الداخلية الشيشاني الأسبق.

ه- قناة القوقاز التلفازية، وهي قناة إسلامية مقرها العاصمة الشيشانية، ويديرها الأستاذ «مولادي أودوغوف» وزير الخارجية الشيشاني السابق.

المطلب الثالث:
الشخصيات العلمية والدعوية:

يقيض الله تبارك وتعالى لأمته من يعيدها إلى دينه القويم وصراطه المستقيم رغم تلاطم الفتن واشتداد الخطوب والمحن. وفي هذا المطلب يتناول البحث بعضاً من العلماء والدعاة في المنطقة الذين كانت لهم جهود متفاوتة في تجديد الإيمان، وبيان السنة ونشر العلم وإرجاع المسلمين إلى حقيقة دينهم وسمو شريعتهم معتمدين على القرآن الكريم والسنة المطهرة، وفهم واقع المسلمين ومصالحهم. ومن جملة أولئك العلماء والدعاة مايلي:

أولاً: جمهورية داغستان:

أ- العلامة الشيخ حسام الدين الطبسراني الكريخي.

ب- الشيخ محمد نور الهركاني.

ج- الشيخ الدكتور أحمد قاضي أخطايف رحمه الله.

ثانياً: جمهورية الشيشان:

أ- الرئيس جوهر دودابيف.

ب- الرئيس سليم خان يندربايف.

ج- الشيخ أحمد حمزة.

ثالثاً: جمهورية الأنغوش:

أ- الشيخ عيسى سلطان.

أولاً: جمهورية داغستان:

● أ- العلامة الشيخ حسام الدين الطبساني الكريخي (داغستان):

العلامة الشيخ حسام الدين الطبسراني الكريخي له من العمر ثمانون عاماً، وأخذ العلم على يد والده العالم ضياء الدين الكريخي الذي كان قاضياً ومفتياً لقومية الطبسران الواقعة جنوب داغستان، وبالإضافة إلى القضاء والإفتاء فقد اشتغل والده بالتأليف، فله على سبيل المثال كتاب «صفة الصلاة وبيان القبلة».

نشأ العلامة الشيخ حسام الدين نشأة علمية فقهية على مذهب الإمام الشافعي، وحقق تبحراً عظيماً في علوم الشريعة، ولم تكن له أي انتماءات للطرق الصوفية المنتشرة في ذلك الإقليم، كان أخذ الشيخ العلم في العهد الشيوعي سراً حيث نهل من مكتبة والده العامرة، فأفاد رسوخاً في العلم وتبحراً في اللغة العربية، وقد تجنب التصادم والصراع مع الشيوعيين، انكب الشيخ على الفقه ومسائله وخلافاته ـ لاسيما تلك السائدة في ناحيتهم ـ حيث كتب عنها وألف فيها، فله كتاب في ثلاثة أجزاء بعنوان «المكتوبات الثلاثة» الأول: في بيان المزخرفات والمبتدعات. والثاني: يجيب فيه على المسائل الفقهية الواردة إليه من مخالفيه، كصلاة الظهر بعد صلاة الجمعة، وصلاة الجنازة على الميت، وكيفية توجيهه للقبلة...إلخ. والمكتوب الثالث بعنوان: «إيضاح المسائل المهمة التي اضطرب فيها عقول الجاهلين الضالين المضلين لغيرهم»، يسكن الشيخ حسام الدين قرية كريخ مسقط رأسه الواقعة جنوب جمهورية داغستان[1].

● ب- الشيخ محمد نور الهركاني (داغستان):

الشيخ محمد نور الهركاني عالم وداعية وشاعر مفوه، لاقى من الملاحدة صنوف الظلم والسجن والعذاب لبذله العلم ودعوته إلى الله.

ولد الشيخ محمد نور الهركاني في قرية هركان التابعة لمحافظة «خنزاخ» الواقعة في الشمال الغربي لداغستان، كان والده رحمه الله من الأغنياء الأعيان، أما جده الشيخ سعيد الهركاني فقد كان عالماً متبحراً، ورث عنه الشيخ محمد نور مكتبة عامرة نهل منها العلم والفقه.

---

(١) ذكره الدكتور أحمد ياسين، وكذلك الأستاذ هانئ محمد المهدي عندما التقاهما الباحث.

يقول الشيخ محمد نور: «تعلمت على يديه ـ أي جده ـ اللغة العربية والقرآن الكريم والفقه، حيث درست على يديه كتاب «كنز الراغبين في شرح منهاج الطالبين» للإمام المحلي[١]، وكذلك كتاب «إعانة الطالبين» للإمام النووي[٢]، وكتاب «تفسير الجلالين» للإمامين: جلال الدين السيوطي[٣] وجلال الدين المحلي وغيرها[٤].

● ج- الشيخ أحمد قاضي أخطايف (داغستان):

الشيخ أحمد قاضي رحمه الله مؤسس حزب النهضة الإسلامي في جمهورية داغستان، وهو شخصية إسلامية تحظى بحب وتقدير الدعاة لكونه من العلماء العاملين الذين بذلوا جهوداً كبيرة في الحفاظ على الهوية الإسلامية للمجتمع الداغستاني إبان العهد الشيوعي الإلحادي.

يرى الشيخ أحمد قاضي أن السبيل للتغيير إلى الأفضل من أجل بناء مجتمع إسلامي في داغستان بعد انهيار الاتحاد السوفييتي يكون بأسلوب دعوي سلمي من خلال الاستفادة من هامش الحرية المتاح. فبذل الشيخ جهوداً كبيرة لتوحيد جهود الدعاة إلى الله

---

(١) الإمام المحلي (٧٩١-٨٦٤هـ): هو جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي المصري الشافعي. مفسر فقيه متكلم أصولي نحوي منطقي، ولد بالقاهرة ونشأ بها، وأخذ العلم عن علمائها حتى صار عالماً مجتهداً وكان مهيباً صداعاً بالحق. عرض عليه القضاء الأكبر فامتنع، له مؤلفات عدة، منها «تفسير الجلالين» الذي أتمه جلال الدين السيوطي، وله «كنز الراغبين» في الفقه الشافعي، و«البدر الطالع» في أصول الفقه، و«الطب النبوي» وغيرها. توفي رحمه الله في القاهرة.
انظر: «الأعلام» ٥/ ٣٣٣، انظر: «معجم المؤلفين» ٣/ ٩٣.

(٢) الإمام النووي (٦٣١-٦٧٦هـ): هو أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي النووي، الشافعي. ولد في نوى جنوب دمشق، درج في طلب العلم حتى صار عالماً زاهداً مجتهداً، ثم أخذ في التصنيف والإفادة والنصح، وصار علامة الفقه والحديث، وله تصانيف كثيرة في اللغة والفقه والحديث والتوحيد والقرآن، منها: المنهاج في شرح صحيح مسلم ورياض الصالحين، والأذكار، والإرشاد في علم الحديث، وتحرير الألفاظ، وغيرها كثير. انظر: «الأعلام» ٨/ ١٤٩، انظر: «معجم المؤلفين» ٤/ ٩٨.

(٣) جلال الدين السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ): هو أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد المصري الشافعي. إمام حافظ مؤرخ أديب نشأ بالقاهرة يتيماً، وقرأ على جماعة من العلماء، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس فألف أكثر كتبه التي بلغت نحو ٦٠٠ مصنف. ومن مؤلفاته الكثيرة: الإكليل في استنباط التنزيل، الإتقان في علوم القرآن، وغيرها كثير. انظر: «معجم المؤلفين» ٢/ ٨٢، وانظر: «الأعلام» ٣/ ٣٠١.

(٤) ذكر الشيخ ذلك للأستاذ هانئ محمد المهدي حيث نقله للباحث.

تعالى وجمعهم على كلمة سواء، وحظي الشيخ وبعض زملائه بعضوية البرلمان الداغستاني غير أن المنية باغتته عام ١٤١٨هـ (١٩٩٨م)[١]. ويذكر أنه كان للشيخ جهود أخرى في مجال الدعوة إلى الله تعالى فقد أسس المركز الإسلامي الداغستاني في العاصمة «محاج قلعة»، كما أسس بالتعاون مع الشيخ بهاء الدين محمد الداغستاني جمعية ومدرسة دار الحكمة في مدينة غزليورت[٢].

ثانياً: جمهورية الشيشان:

● أ- الرئيس جوهر دودابيف:

من المعلوم أن الرئيس جوهر دوداييف قد نشأ في أحضان جيش الاتحاد السوفييتي السابق حتى وصل إلى موقع قيادي فيه، لكنه رغم ذلك لم ينس شعبه وأمته ودينه، فغداة انتخابه رئيساً للشيشان في ٢٠/ ٣/ ١٤١٢هـ (٢٧/ ١٠/ ١٩٩١م) أقسم اليمين على المصحف الشريف، ولم يقسم على الدستور الروسي. ويذكر المقربون منه أنه اعتاد على قراءة القرآن الكريم، وكان يضعه دائماً أمامه حيث كان القرآن الكريم رفيق دربه أينما ذهب[٣].

لقد كان جوهر رحمه الله محباً للإسلام، فقد عمل على بناء أركان دولته الفتية على ذلك حيث نص دستور البلاد على تمتع جميع الفعاليات والأنشطة الدينية بدعم الدولة وتأييدها. وتم الإعلان عن تأسيس معهد الدولة للدراسات الإسلامية بالعاصمة، ودعمت الحكومة الشيشانية الجديدة المركز الإسلامي في العاصمة، وافتتحت الدولة كل الجوامع والمساجد التي أغلقها الروس وقامت بترميمها حتى وصل مجموعها عام ١٤١١هـ (١٩٩١م) إلى أكثر من ٢٥٠ مسجداً[٤].

---

(١) انظر: د. شيخ سعيدوف عمري «الإسلام في داغستان» التقرير المقدم إلى المؤتمر المنعقد في السويد في شهر مارس من عام ١٩٩٩م. وكذلك: د. عبد الحميد داغستاني في لقائه مع الباحث بتاريخ ٢٨/ ١١/ ١٤٢٠هـ (٤/ ٣/ ٢٠٠٠م).

(٢) ذكره د. عبد الحميد داغستاني في لقائه مع الباحث كما ذكره الشيخ عباس شقيق الشيخ أحمد قاضي.

(٣) انظر: محمود عبد الرحمن «تاريخ القوقاز ـ نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي» ص ١٣٩-١٤٠ باختصار.

(٤) انظر: المرجع السابق، وانظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي» ص ٢٣٣.

وقامت السلطات الشيشانية ـ بمبادرة من جوهر دوداييف ـ باتخاذ قرار إنشاء الجمهورية الإسلامية الشيشانية، وتم وضع النشيد الوطني الذي دل على معاناتهم وتصميمهم وتمسكهم بدينهم عندما جعلوا لازمة النشيد «لا إله إلا الله»[١]، ولم يقف الرئيس جوهر دوداييف ـ رحمه الله ـ عند ذلك بل عُمل على تقريب الدعاة والأخيار إليه وجعلهم خاصته ومستشاريه وأعوانه، أمثال نائبه «سليم خان يندربايف»، والدكتور «إسلام حليموف» والشيخ «فتحي»[٢] والأستاذ «مولادي أودوغوف» وغيرهم[٣].

● ب- الرئيس سليم خان يندربايف:

بعد موت الرئيس جوهر دوداييف ـ رحمه الله ـ غدراً على يد الروس في ذي الحجة ١٤١٦هـ (٢١/ ٤/ ١٩٩٦م) تابع الرئيس المؤقت سليم خان عملية أسلمة الدولة والمجتمع، وأمر بإنشاء المحاكم الإسلامية ومعاهد لتدريس القرآن الكريم والشريعة الإسلامية واللغة العربية، وأقبل هو شخصياً على تعلم اللغة العربية، وجعلها مادة مقررة في المدارس الحكومية[٤].

ويذكر أن سليم خان كان داعية إلى الإسلام وعضواً في حزب النهضة الإسلامي، وكانت له جهود مباركة في التعليم والدعوة سراً إبان الحكم السوفييتي. كما أنه أديب وشاعر في اللغتين الشيشانية والروسية، وقد صدر له تفسير وترجمة أدبية بليغة لمعاني القرآن الكريم باللغة الروسية أثنى عليها بعض الدعاة[٥].

● ج- الشيخ أحمد حمزة:

الشيخ أحمد حمزة من الدعاة العاملين بجد ونشاط في حقل الدعوة إلى الله في العاصمة الشيشانية «غروزني» رغم كونه مقعداً، درس الشيخ في أوزبكستان إبان الحكم الشيوعي في معهد الإمام البخاري بطشقند، ولم يكن الشيخ من طلاب المعهد غير أنه

(١) انظر: مصطفى زنداقي «أضواء على جمهورية الشيشان» ص ٨.
(٢) الشيخ فتحي طالب علم فاضل وداعية أردني من أصل شيشاني.
(٣) ذكره بعض من التقاهم الباحث من الشيشان.
(٤) انظر: محمود عبد الرحمن «تاريخ القوقاز ـ نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي» ص ٢٠٨.
(٥) ذكره بعض من التقاهم الباحث من الشيشان.

رحل إلى هناك طلباً للعلم، فعكف في مكتبة المعهد التي كانت تشتمل على ٢٥٠ (مائتين وخمسين) ألف كتاب، وطلب العلم على يد علماء أوزبكستان سراً، وكان ذلك في أعوام ١٣٩٢-١٣٩٤هـ (١٩٧٢-١٩٧٤م).

يقول الشيخ أحمد حمزة: «أما أستاذي الأول الذي علمني العربية والنحو وبعض الفقه والتفسير، فكان اسمه قائم رحمه الله تعالى كان يعيش في قريتنا في الشيشان، ولما انتهى من تعليمي نصحني بأن أرتحل إلى بقية العلماء الآخرين في الشيشان»[١].

هاجر الشيخ طلباً للعلم ولازم الشيخ «أبو بكر» ـ رحمه الله ـ حيث تقع قريته إلى الشرق من الشيشان، فأخذ عنه الفقه والتفسير ثم تحول إلى علماء آخرين في القوقاز وأوزبكستان حيث استقر به الأمر في مكتبة معهد الإمام البخاري بطشقند التي عكف على قراءة كتبها ثلاث سنين، وبعد عودته إلى بلده كان همه الأكبر الدعوة إلى الله تعالى والتعليم سراً. وبعد أن منّ الله على المسلمين بزوال الشيوعية اختير الشيخ رئيساً لمركز الرسالة الإسلامي في العاصمة غروزني، حيث ينشط الشيخ من خلال المركز في مجال المحاضرات والدروس والترجمة والتأليف وغير ذلك[٢].

ثالثاً: جمهورية الأنغوش:

● أ- الشيخ عيسى بن سلطان:

ولد الشيخ عيسى في ٣ شعبان ١٣٦٩هـ (٢٠/ ٥/ ١٩٥٠م) في قرية علي يورت بأنغوشيا، وتلقى بعض العلوم الشرعية سراً وهو شاب خلال فترة الحكم الشيوعي على يد الشيخ إبراهيم أرتشاكوف وغيره، وفي عام ١٤١٠هـ (١٩٩٠م) سافر إلى الجزائر طلباً للعلم حيث تخرج من كلية الشريعة قسم الفقه وأصوله، وبعد عودته لبلاده اجتهد في الدعوة والتعليم على بصيرة، فأنشأ معهداً إسلامياً في مدينة ملغابيك أسماه «معهد البر الإسلامي» بعد أن عرض الأمر على الندوة العالمية للشباب الإسلامي التي وافقت على

(١) ذكره الشيخ أحمد حمزة في لقاء مع الباحث في العاصمة الشيشانية غروزني بتاريخ ٥/ ٦/ ١٤١٩هـ (٢٥/ ٩/ ١٩٩٨م).

(٢) ذكره الشيخ أحمد حمزة في لقاء مع الباحث. ولمزيد من الاطلاع على جهود الشيخ راجع: المطلب الأول من هذا الفصل: مركز الرسالة الإسلامي.

دعم المعهد ببعض المعلمين والمناهج الدراسية وذلك في عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م)[١].

التحق بالمعهد الكثير من الطلاب، وصار أنموذجاً فريداً في المنطقة حيث أصبح بعض طلابه حفظة لكتاب الله الكريم بعد ثلاث سنوات فقط من إنشاء المعهد، كما أن بعضهم كان يحفظ ألفية ابن مالك في النحو ويجيد العربية.

كان الشيخ عيسى بن سلطان يدير المعهد ويدرس فيه مواد الفقه وأصول الفقه ومصالح الحديث.

(١) ذكره للباحث أحد تلامذة الشيخ، وقد التقى الباحث مع الشيخ عيسى في مكة المكرمة خلال موسم الحج لعام ١٤٢٠هـ.

المبحث الثاني :

مضمون الدعوة في شمال شرق القوقاز:

ويشتمل على المضامين التالية :

المطلب الأول:

المضامين المتصلة بالجوانب العقدية والتشريعية.

المضمون الأول: تثبيت معاني الإيمان الخالص بالله تعالى والرد على شبهات الملحدين.

المضمون الثاني: التصدي لمظاهر الانحراف العقدي والغلو في الصالحين.

المضمون الثالث: التصدي لمظاهر إقامة الموالد.

المطلب الثاني:

المضامين المتصلة بالجوانب الأخلاقية:

المضمون الأول: مواجهة مظاهر الفساد والانحلال الأخلاقي.

المضمون الثاني: الدعوة إلى وحدة الصف والتآخي ونبذ العصبية العرقية.

المضمون الثالث: الاهتمام بالمرأة وتنشئتها على قيم الإسلام.

المطلب الأول:
المضامين المتصلة بالجوانب العقدية والتشريعية:

إن المراد بمضمون الدعوة في حقيقته هنا هو «عبادة الله بمفهومها الشامل الذي يستوعب كل خلجة في النفس وحركة في الحياة، أي الاعتقادات الصحيحة والأقوال الحقة والسلوك المستقيم»[١].

● **المضمون الأول: تثبيت معاني الإيمان الخالص بالله تعالى والرد على شبهات المضلين:**

لاريب أن المهمة الرئيسة للداعية إلى الله عز وجل وصل القلوب بالله عز وجل، وتعريف الناس بربهم، وإحياء خشيته في قلوبهم، فهو الخالق المعبود بحق المتصف بصفات الكمال المنزه عن كل نقص. قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[الحشر: ٢٢-٢٤].

فهو رب العالمين القائم على شؤون خلقه المتكفل بما يصلحهم، وهو كاشف الضر عنهم. قال سبحانه: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ﴾[الأنعام: ١٧].

فمن أول مضامين دعوة الإسلام تثبيت معاني العقيدة في النفوس، حيث إن الإنسان في هذه الحياة يقوده اعتقاده واقتناعه، فالإنسان كما هو معروف يقاد من داخله، وإذا نبض هذا الداخل واستضاء بالعقيدة الحقة، داخلت نفسه بشاشة الإيمان وسرت فيه روح الحياة وتحركت طاقاته، وانطلقت محلقة بوقود إلهي رباني يكاد زيته يضيء ولو لم

(١) انظر: د. محمد ساداتي الشنقيطي «ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام» ص ٣٨، ط (١) دار عالم الكتب ـ الرياض، ١٤١٥هـ (١٩٩٤م).

تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء[١].

ومن المعلوم أن الشيوعيين قد أقروا مبدأ الإلحاد والمادية وجعلوه قوام دولتهم ومنهج رسالتهم. فالماركسية في نظرهم ليست مجرد نظام مادي اقتصادي بل اتجاه عقائدي شمولي، فالحزب الشيوعي السوفييتي يرى أن من أهدافه ومهامه العمل على إقناع الناس بعدم وجود قوة إلهية تسيطر على هذا الكون، وليس هناك ما يسمى بالبعث والنشور، فبعد الموت فناء نهائي لا بعث بعده ولا نشور. ويرون أن الديانات ما هي إلا آراء دنيوية خرافية تعبر عن أوضاع اقتصادية واجتماعية غير سليمة، وأنها ستختفي عند رفع مستوى الأوضاع الاقتصادية وتقويم الوعي الاجتماعي لدى الشعوب والأفراد، ويرون أن التعايش مع المؤمنين بالألوهية أمر مستحيل على المستوى الأيديولوجي العقائدي، إذ إن توافق الإيمان مع الإلحاد متعذر حتماً[٢].

وقد بذل الشيوعيون كل جهدهم وسخروا كل إمكاناتهم لتربية الشعوب المسلمة ـ لاسيما الشباب في المدارس والجامعات ـ على الأخذ بعقيدة الإلحاد والطعن بعقيدة التوحيد الخالص لله عز وجل، وإثارة الشبهات والنقائص بالدين الإسلامي الحنيف.

فمن أقوالهم المشهورة «الدين أفيون الشعوب» ـ كما قال ماركس ـ وكذلك «الدين مسكر روحي» ـ كما قال لينين[٣] ـ وما فتئ الملاحدة يثيرون الشبهات على عقيدة الإسلام وشرائعه حتى تأثر بأقوالهم بعض أبناء المسلمين الذين نشؤوا وتربوا في مدارسهم وجامعاتهم.

إن من مظاهر ذلك التأثر الكبير بشبهات الملحدين ما ذكره الدكتور أحمد ياسين[٤] أن بعض الطلاب في جامعة داغستان يقولون: «نحن لا ننتمي إلى أي دين، ولا نعتقد أي معتقد». وهم من أبناء المسلمين! من هنا كان العمل على تثبيت معاني الإيمان الخالص بالله جل شأنه، والرد على شبهات أهل الإلحاد واجباً شرعياً يأخذ جانب الأولوية في مضمون الدعوة إلى الله عز وجل لدى القائمين على أمر الدعوة الإسلامية في شمال شرق القوقاز حتى لا يحجب ظلام الباطل أنوار الحق الزاهية البراقة الصافية.

---

(١) انظر: د. توفيق الواعي «الدعوة إلى الله. الرسالة، الوسيلة، الهدف» ص ١١٧، ط (٢) دار اليقين ـ مصر، ١٤١٦هـ (١٩٩٥م).

(٢) انظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي ١٨٥٩-١٩٩١م» ص ١٧٨.

(٣) انظر: سعيد بينو «الشيشان والاستعمار الروسي ١٨٥٩-١٩٩١م».

(٤) الدكتور أحمد ياسين شاب عربي، ومسؤول مؤسسة طيبة الخيرية بداغستان.

ومن الوسائل التي استخدمها الدعاة هناك في ترسيخ هذا المضمون مايلي:

١- تدريس عقيدة التوحيد الصحيحة القائمة على ثوابت القرآن والسنة في المدارس الإسلامية. ومن ذلك تدريس كتاب «العقيدة الطحاوية» للإمام الطحاوي[١]، وكتاب «توحيد الخالق» للشيخ عبد المجيد الزنداني، وكتاب «الإيمان. حقيقته وأركانه» للدكتور محمد نعيم ياسين وهي كتب قيمة وموثقة.

٢- تأليف ونشر بعض الكتب في تقرير الإيمان بالله عز وجل ونفي الإلحاد والشرك، ودفع الشبهات عن دين الله عز وجل باللغة الروسية وذلك من قبل بعض العلماء المحليين المجيدين للغة الروسية؛ وقد تم في هذا الباب ترجمة كتاب «الله جل جلاله» للشيخ سعيد حوى، وتوزيعه في المنطقة.

٣- ترجمة ونشر وتوزيع بعض الكتيبات التي تتناول بيان المعتقد الإيماني الصحيح.

٤- تنظيم المؤتمرات العلمية التي تؤكد الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وتبين عظمة عقيدة التوحيد الخالص بالله جل شأنه.

٥- ترجمة وتوزيع الأشرطة المتلفزة (أشرطة الفيديو) لمحاضرات الشيخ عبد المجيد الزنداني وغيره من علماء الإسلام التي تثبت الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، وقد كان لهذا الأمر أثره البالغ في طلاب الجامعات في المنطقة[٢].

٦- إقامة عشرات المحاضرات والندوات، وكتابة المقالات في الصحف التي تؤكد عقيدة الإيمان بالله تعالى، وتدفع عن الإسلام شبهات المرجفين الملحدين.

---

(١) الإمام الطحاوي: هو الإمام المحدث الفقيه الحافظ أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي ـ نسبة إلى قرية بصعيد مصر ـ ولد عام ٢٣٩هـ، أخذ العلم ودرج فيه حتى اكتملت معرفته بمذهب الإمام أبي حنيفة واقتدى به، ولم يمنعه ذلك من مخالفته لبعض أقوال الإمام وترجيح ما ذهب إليه غيره من الأئمة. وقد تخرج على كثير من الشيوخ زاد عددهم على ٣٠٠ شيخ، أما تصانيفه فهي غاية في التحقيق والجمع وكثرة الفوائد وحسن العرض، توفي رحمه الله سنة ٣٢١هـ بمصر. انظر: ابن كثير «البداية والنهاية» ١٥/ ٧١، ق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط (١) دار هجر الرياض، ١٤١٩هـ (١٩٩٨م). وانظر: ترجمة المؤلف في كتاب «شرح العقيدة الطحاوية» للعلامة ابن أبي العز الحنفي. ق: د. عبد الله التركي، شعيب الأرنؤوط، ط١ مؤسسة الرسالة، بيروت ٢٠٠٠.

(٢) ذكر ذلك بعض من التقاهم الباحث.

● **المضمون الثاني: التصدي لظاهر الانحراف العقدي والغلو في الصالحين:**

ويقصد بالانحراف العقدي تلك الأمور الاعتقادية التي انتشرت في المنطقة عبر سنوات طويلة، توهمها بعض المشايخ دون أن يكون لهم بها من الله برهان قاطع، وحجة بالغة، فانحرفوا بالدين أيما انحراف، وهم يحسبون أنهم على كل شيء.

ومن أمثلة هذه الانحرافات مايلي:

١- التوسل بالأنبياء والأولياء، والاستغاثة بهم في الملمات والشدائد.

٢- اعتقاد الكرامات والخوارق الخرافية لدى بعض مشايخهم.

٣- الغلو في الصالحين وفي الخضر عليه السلام.

ومن الإيجاز إلى التفصيل:

١- التوسل بالأنبياء والأولياء، والاستغاثة بهم في الشدائد:

إن ظاهرة التوسل والاستغاثة بالأنبياء والأولياء لم تكن وليدة اللحظة الحالية في المنطقة، ولكنها ترجع إلى قرنين مضياً من الزمان حيث انتشرت تلك المظاهر المنحرفة مع دخول الطريقة النقشبندية على يد مؤسسها هناك الشيخ محمد اليراغي[١] الداغستاني المتوفى عام ١٢٥٤هـ، حيث يجيز اليراغي التوسل بالمشايخ، ويرى أن القصد من مدحهم هو التوسل بهم إلى جاه النبي ﷺ ثم إلى الله سبحانه وتعالى.

وقال ما نصه: «...وفي قصدنا إهداء المدائح إلى مشايخنا الكرام، ساداتنا النقشبندية الفخام، بمدح كل واحد منهم توسلاً إلى جاه حبنا رسول الثقلين، ثم به إلى حضرة خالق الكونين»[٢].

---

(١) الشيخ محمد اليراغي: هو محمد بن ملا إسماعيل، بن ملا شيخ كمال بن نذر اليراغي الكوري الداغستاني. أول شيخ للطريقة النقشبندية في داغستان، حصل العلوم والمعارف على علماء عصره، ثم عمل مدرساً للعلوم العربية الإسلامية في داغستان. وبعد تلقنه الطريقة النقشبندية من الشيخ خاص محمد الشرواني سنة ١٢٣٧هـ وصار مجازاً فيها اجتمع حوله المريدون. واستاءت منه الحكومة القيصرية لذلك، فطاردته مع أهله وعياله، حتى لحق بالجهاد تحت راية الإمام شامل. وتوفي في قرية ثغور، ولايزال قبره مزاراً هناك للداغستانيين. ولليراغي آثار وقصائد، منها المطبوع والمخطوط. ومن أهم وأشهر آثاره كتابه «آثار اليراغي». انظر: هانئ المهدي «التصوف في داغستان في القرون الثلاثة الأخيرة» بحث غير منشور ص ٢٣٠.

(٢) انظر: حسن حلمي القحي «البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة» ص ١٣٦، ط (١) دار النعمان للعلوم، دمشق ـ ١٤١٧هـ (١٩٩٦م).

ومن المشايخ الداغستانيين المجوزين للتوسل بالأنبياء والأولياء في حياتهم وبعد مماتهم الشيخ حسن حلمي القحي[١]، حيث يقول: «والذي تلقيناه من مشايخنا، وهم عن مشايخهم، وهلم جرا: أن ذلك جائز ثابت في أقطار البلاد، وكفى بهم أسوة، وهم الناقلون لنا الشريعة، وما عرفنا إلا بتعليمهم لنا الشريعة، وما عرفنا إلا بتعليمهم لنا، فلو قدرنا أن المتقدمين كفروا ـ كما يزعم هؤلاء الأغبياء ـ لبطلت الشريعة المحمدية»[٢].

ويضيف القحي قائلاً: «نعم، ينبغي تنبيه العوام على ألفاظ تصدر منهم تدل على القدح في توحيدهم، فيجب إرشادهم وإعلامهم بأن لا نافع ولا ضار إلا الله تعالى. لا يملك غيره ضراً ولا نفعاً إلا بإرادة الله تعالى، وقال تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾[الجن: ٢١][٣].

هذا وقد توسل كثير من مشايخ الصوفية بداغستان في أشعارهم بالرسول ﷺ وبالصحابة وبأئمة الطريقة، ومنهم الإمام نجم الدين الحزي حيث أنشأ قصيدة في ديوان له بعنوان «في المناجاة بالتوسل»، ولكنه قبل أن يتوسل ذكر في أول بيت في القصيدة أن النافع والضار هو الله سبحانه وتعالى. يقول الإمام نجم الدين:

هو الله ربي من يضر وينفع ... ولا ثم من يعطي سواه ويمنع
سأنزل آمالي بربي موقناً ... بأنه يقضي ما يشاء ويصنع
وأرجو رسول الله أحمد إنه ... غداً لي في يوم القيامة يشفع
فما لي إلى ربي سواه وسيلة ... ولا سنة إلا الشريعة تتبع
وأبناؤه عند النوائب عدتي ... بشوكتهم كل الملمات أدفع
لهم أعين لم يغمضوها عن الورى ... وأذن لصوت الاستغاثة تسمع
أولئك أعواني فلا بأس فليقم ... لحربي عدوي كي يرى كيف يقمع

ثم يذكر آل البيت فيقول:

(١) أحد مشايخ الطريقة النقشبندية بداغستان، وقد توفي عام ١٣٥٦هـ.
(٢) انظر: حسن حلمي القحي «البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة» ص ١٣٦.
(٣) المرجع السابق.

وسائر أهل البيت حياً وميتاً هم شيعتي عني المكاره تمنع[١]

هذه آراء بعض مشايخ داغستان في موضوعي التوسل والاستغاثة، حيث نستطيع أن نوجزها بمايلي:

١- إن الكثير منهم يجيز التوسل بالنبي ﷺ وبالأنبياء الصالحين مطلقاً.

٢- الخلط الواضح عندهم بين موضوعي التوسل والاستغاثة رغم الفرق الكبير بينهما.

إن خطورة مظاهر الانحرافات العقدية والغلو في الصالحين تتمثل في كونها تصرف الناس عن عقيدة توحيد الألوهية[٢]، كما أنها تحجب عنهم حقيقة الدين، وتعدل بهم عن الصراط المستقيم، فضلاً على أنها تذهب بمعالم العبادة الصحيحة، وتؤدي إلى موت السنن والمندوبات، فتحل البدعة محل السنة.

وقد يقول قائلهم إن التوسل والاستغاثة بالأولياء على سبيل المجاز[٣] لا الحقيقة، وهذا القول فضلاً عن كونه يخالف الواقع، فإن الكثير من عامة الناس وبسطائهم ـ لاسيما أولئك المتأثرين بمشايخ الطرق الصوفية ـ يعتقدون أن الأولياء يدفعون بلاءً ويجلبون نفعاً لمن يستغيث بهم والعياذ بالله[٤].

٢- اعتقاد الكرامات والخوارق الخرافية لدى مشايخهم:

أما عن ظاهرة اعتقاد الكرامات والخوارق لدى مشايخهم، فهذا أمر سائد ومنتشر في المنطقة، حيث يعتقد أهل الطرق الصوفية بطيران مشايخهم إلى الأماكن المقدسة لاسيما

---

(١) انظر: الشيخ محمد نور الهركاني، مخطوط بعنوان «الفتح المبين في آثار الإمام نجم الدين» مخطوط في مكتبة الشيخ الهركاني في محاج قلعة بداغستان، اطلع الباحث على نسخة مصورة عنها لدى مكتبة الأستاذ هانئ محمد المهدي بمصر.

(٢) توحيد الألوهية: هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده ويتقرب إليه كما يعبد الله تعالى ويتقرب إليه. انظر: عامر عبد الله فالح «معجم ألفاظ العقيدة» ص ١٠٨، ط (١) مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م).

(٣) المجاز: جاء في القاموس المحيط، المجاز: خلاف الحقيقة. وجاء في المعجم الوسيط: المجاز من الكلام: ما تجاوز ما وضع له من المعنى. انظر القاموس المحيط ٦٥١، وانظر المعجم الوسيط ١/ ١٤٧.

(٤) ناقش الباحث أحد أولئك المتأثرين بمشايخ الطرق الصوفية في أنغوشيا، فكان يقول: «نحن نعتقد اعتقاداً جازماً أن الأولياء يدفعون ضراً ويجلبون نفعاً، بل إن بعضهم يتصرف في شؤون الكون والعباد!» نعوذ بالله مما يقولون، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

في مواسم الحج، فيكونون آخر الذاهبين وأول الآيبين بزعمهم.

كما أن كتب الصوفية في المنطقة تمتلئ بذكر ما يعتقدون أنه كرامات لمشايخهم وهي بلا ريب خرافات وأساطير، ومن ذلك مثلاً:

ما ورد من أن أحد المريدين قصد شيخه في طلب آية منه (أي كرامة) قال: أولم تؤمن؟ فأجابه المريد: بلى ولكن ليطمئن قلبي. قال: اذهب إلى بيتك تجد امرأة تُجهِّز، فإذا وُضعت في لحدها فاستأذن قريبها، وارفع واحداً من تلك الأحجار تر آية. ففعل، فلما رفع الحجر إذا بالشيخ جالس عندها، فخر مغشياً عليه[١].

ما وقع لامرأة مع ما يُسمى بقطب الأقطاب عبد القادر لعله يقصد الجيلاني[٢] قال: جاءت امرأة ذات يوم إلى حضرة الغوث والتمست منه الدعاء ليعطيها الله ولداً، فراقب وشاهد اللوح المحفوظ فلم ير لها ولداً مكتوباً فيه، فسأل الله أن يعطيها ولدين، فجاءه النداء من الله: ليس لها ولد مكتوب في اللوح وأنت تطلب ولدين! فسأل أن يعطيها ثلاثة أولاد، فجاءه النداء مثل الأول، فسأل الله أن يعطيها أربعة أولاد، فجاءه النداء مثله، فسأل أن يعطيها خمسة أولاد، فجاءه النداء مثله. فسأل أن يعطيها ستة أولاد، فجاءه النداء كالسابق، فسأل أن يعطيها سبعة أولاد، فجاءه النداء: يكفي يا غوث، لا تطلب الزيادة. فبهذه الإشارة جاءت البشارة إليها بإعطاء الله لها سبعة أولاد. فأعطاها الغوث مقداراً من التراب، وكانت تلك المرأة حينئذ كاملة الصدمة والاعتقاد في حضرة الغوث، فوضعت ذلك التراب وعلقته في عنقها كالتعويذة، فأكرمها الله بسبعة أولاد ذكور، وبعد مدة فسد اعتقادها في حق الغوث، وقالت: ليس في التراب الذي أعطانيه الغوث أي فائدة تحصل منه، فبمجرد تفوهها بهذا الكلام، مات أولادها، فجاءت إلى الغوث باكية، فتضرعت. فقالت: يا غوث أغثني، فقال الغوث: كان ذلك الزمان زمانه. ففي هذا الزمان ليست فيه فائدة[٣].

وبمثل هذه الخرافات والأساطير يلبس هؤلاء الغلاة من الصوفية على عامة الناس دينهم وعقيدتهم.

---

(١) انظر: حسن حلمي القحي «البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة» ترجمة المؤلف في مقدمة الكتاب، بدون رقم للصفحة.

(٢) أمثال تلك الروايات مشكوك في نسبتها إلى الشيخ عبد القادر لعله الجيلاني رحمه الله.

(٣) انظر: حسن حلمي القحي «البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة» ترجمة المؤلف في مقدمة الكتاب.

٣- الغلو في الصالحين والخضر عليه السلام:

أما عن ظاهرة الغلو في أهل البيت والصالحين فقد تمثل ذلك في مدحهم لآل البيت ومغالاتهم في ذلك، وقد سبق أن أوردنا قصيدة لنجم الدين الحزي، والتي منها قوله عن آل بيت النبي ﷺ:

وأبناؤه عند النوائب عدتي بشوكتهم كل الملمات أدفع

ومن أبرز الأمثلة على مغالاتهم في الصالحين أيضاً، اعتقادهم بحياة نبي الله الخضر[1] عليه السلام.

ولقد كانت قضية حياة الخضر عليه السلام ولاتزال من القضايا المثارة في الوسط الداغستاني الصوفي، فلا يزالون يعتقدون أن سائر أقطاب وأولياء الصوفية يتلقون علمهم عن الخضر عليه السلام وأنهم يلتقون به في الأماكن المختلفة يحادثهم ويتحدثون معه ويرشدهم.

وهذا الأمر ملاحظ أيضاً في التراث الصوفي الداغستاني، فلقد ورد عن الإمام شامل حكاية ذكر فيها الخضر عليه السلام، ويرى أنها كانت من الأسباب التي ساعدته لتبوُّؤ منصب الإمامة في داغستان، وذلك حينما سئل كيف وصلت إلى درجة الإمامة؟ فقال: إنه كان مرة وهو تلميذ في الجامع في إحدى القرى ـ وكان شهر الصيام ـ فلما كان الليل وبعد العشاء تفرقنا نحن التلاميذ خارجين من حجرة إلى داخل المسجد، وبيد كل واحد منا ثلاث صرر (أي ثلاثة مقادير من الطعام) للتسحر بها، فدخل الجامع سائل فلم يتصدق عليه واحد من رفقائي، فدنوت منه في الظلام عند الباب ووضعت في يده صرتين

---

(١) الخضر عليه السلام: هو المذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ وذلك في قصة موسى عليه السلام مع الخضر الواردة في سورة الكهف، آية ٦٥. والعلماء مختلفون في الخضر: هل هو نبي أو رسول أو ولي؟ غير أن الكثير منهم يرجح نبوته.
يقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: ...وبهذا كله تعلم: أن قتل الخضر للغلام، وخرقه للسفينة، وقوله: «وما فعلته عن أمري»، دليل ظاهر على نبوته. وعزا الفخر الرازي في تفسيره القول بنبوته للأكثرين. انظر: محمد الأمين الشنقيطي «أضواء البيان في إيضاح معاني القرآن» ٣/ ٣٢٦، ط دار الفكر ـ بيروت ١٤١٥هـ (١٩٩٥م). وكذلك: «تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير» ٣/ ٨٨. اختصره: محمد نسيب الرفاعي. ط مكتبة المعارف ـ الرياض، ١٤١٠هـ (١٩٨٩م).

وبقيت لي صرة واحدة، فدعا هذا السائل لي وقال: أعلى الله درجتك، فظننته الخضر عليه السلام[١].

كما ذكر الشيخ شعيب الباكني حكاية عن الشيخ أحمد التلالي يروي فيها أنه التقى بالخضر عليه السلام ودله على مكان وبيت الشيخ محمود الألمالي[٢].

وكانت للشيخ جمال الدين الغموقي مناجاة مع الخضر عليه السلام في شكل رسالة أرسلها إليه قبل هجرته إلى مكة، يقول فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين، وعليه التكلان. من عبد الله الضعيف إلى نبي الله تعالى وحبيبه، وخليفة رسول الله ﷺ وصفيه، سيد الأبدال وعالم أهل الأرض خضر عليه السلام. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. زاد الله في علمك وعم بركتك على خلقه. آمين أما بعد:

فيا سيدنا إنك قد بلغت الرسالة، وأديت الأمانة، وأوصلت سلام الله تعالى العزيز الغفار إلينا، وبينت لنا ما كان لنا عند الله تعالى من الدرجة والزلفى، ونصحتنا بالنصائح المليحة، ووعظتنا بالمواعظ البليغة، فرضي الله تعالى عنك، وجزاك عنا خير الجزاء، وإن شاء الله تعالى الكبير المتعال نجتهد في امتثال أمرك واجتناب نهيك بقدر الإمكان، فوالله العظيم ليس شك عليك ولا إنكار في حقك، فنعوذ بالله تعالى من ذلك، فنسألك بالله تعالى الذي خلقك وأكرمك واصطفاك أن تعفو عما صدر مني في حقك من ترك الأدب، وتجاوز عما فعلنا من الخطأ والزلل والنسيان، فإن الإنسان كله عصيان، فإني تبت عن جميع ما صدر مني من العصيان في حق الله تعالى وفي حقك، وأرجو من الله تعالى الكريم أن يقبل توبتي، فإنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. فالآن أسألك بالله تعالى الذي خلقك أن لا تقطع عني نظرك، ولا ترفع عني يدك ما دمت حياً، فإني رجل ضعيف عاص لله تعالى لا أجد علاجاً إلا التشبث بذيلك المبارك في الدنيا

(١) انظر: عبد الرحمن بن جمال الدين الغموقي «التفصيل في أحوال الإمام شاميل» مخطوطة غير مطبوعة موجودة لدى مكتبة الشيخ محمد نور الهركاني بداغستان، اطلع الباحث على نسخة مصورة عنها في مكتبة الأستاذ هانئ المهدي بمصر.

(٢) انظر: سيب بن إدريس الباكني «طبقات الخواجكان النقشبندية» ص ٤٨٢، ط (١) دار النعمان للعلوم، دمشق ١٤١٦هـ (١٩٩٦م).

والآخرة، فلا تخيب رجائي وكن لي شفيعاً عند الله تعالى يوم القيامة، ومعيناً في الشدائد كلها في الدنيا والآخرة، ثم إني أستودعك بعد الله تعالى أهلي وأولادي إذا مت، وخاصة مباركنا «بهاء الدين» الذي سلمته إلي، وأمرتني باختياره من بين الأولاد.

ثم إني لما تفكرت في أحوال الناس ولم أجد فيهم خيراً إلا الفرار منهم عزمت الهجرة إلى دار الإسلام مع الأهل والعيال إن وفقني الله تعالى إلى ذلك، والباقي أن توصي لي بوصية حسنة لأعمل بها إن شاء الله تعالى، وأوصيك بالدعاء لي ولأولادي والسلام»[١].

والحقيقة أن الخضر هو العبد الصالح الذي ذكره الله تعالى في سورة الكهف، حيث رافقه نبي الله موسى عليه السلام وتعلم منه، واشترط عليه أن يصبر، فأجابه إلى ذلك، فقال له: وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً، وظل معه.

وهو عبد آتاه الله رحمة من عنده، وعلمه من لدنه علماً، ومشى موسى عليه السلام معه في الطريق، ولما رآه قد خرق السفينة فقال: أخرقتها لتغرق أهلها؟.. إلى آخر ما ذكر عنه في سورة الكهف. كان موسى عليه السلام يتعجب من فعله، حتى فسر له أسباب هذه الأمور، وقال له في آخر الكلام: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِيۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢] يعني ما فعلت ذلك عن أمري، وإنما عن أمر الله تعالى.

وليس هناك دليل صحيح من القرآن والسنة وإجماع المحققين من الأمة أن الخضر حي، وقد أنكر حياته من الأئمة: الإمام البخاري[٢]، وابن القيم[٣]، . . . . . .

(١) انظر: محمد الهالي «في وقائع الإمام شامل» مخطوطة موجودة في مكتبة الشيخ محمد الهركاني بداغستان، اطلع الباحث على صورة عنها لدى الأستاذ هانئ المهدي بمصر.

(٢) الإمام البخاري: هو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو عبد الله. حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله ﷺ صاحب «الجامع الصحيح». ولد في بخارى، ونشأ يتيماً، وارتحل في طلب العلم، ودون كتابه الذي هو أصح كتاب بعد القرآن الكريم. توفي عام ٢٥٦هـ بخرتنك من قرى سمرقند. انظر: «سير أعلام النبلاء» ١٢/ ٣٩١، و«الأعلام» ٦/ ٣٤.

(٣) ابن القيم: هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله شمس الدين. من أركان الإصلاح الإسلامي، وأحد كبار العلماء. مولده ووفاته في دمشق. تتلمذ على شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه، وسجن معه في قلعة دمشق، وأطلق بعد موت شيخ الإسلام. ألف تصانيف كثيرة منها: أعلام الموقعين، والطرق الحكمية في السياسة الشرعية، وأحكام أهل الذمة، ومفتاح دار السعادة ومدارج السالكين، وغيرها. توفي رحمه الله عام ٧٥١هـ. انظر: «الأعلام» ٦/ ٥٦.

وابن تيمية[١]، وغيرهم.

فالخضر إن كان بشراً فلن يكون خالداً، حيث ينفي ذلك القرآن الكريم والسنة المطهرة. قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾[الأنبياء: ٣٤]. فإنه لو كان موجوداً لجاء إلى النبي ﷺ، والتزم الإسلام ديناً، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولا يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»[٢].

إنما يميل الناس دائماً إلى الغرائب والعجائب والقصص والأساطير، ويصورونها تصويراً من عند أنفسهم ومن صنع خيالهم، ثم يضفون عليها ثوباً دينياً، ويروج هذا بين بعض السذج، ويزعمون أن هذا من الدين، ولكن ليس هذا من الدين في شيء.. والحكايات التي تحكى عن الخضر إنما هي خرافات ما أنزل الله بها من سلطان[٣].

- **الضمون الثالث: التصدي لظاهرة إقامة الوالد:**

مع دخول الطريقة الصوفية النقشبندية إلى المنطقة انتشرت فيها مجموعة من الخرافات والبدع، كتعظيم المزارات وزيارة القبور من أجل التبرك بأصحابها، وإقامة الموالد وحلقات الذكر والإنشاد، وبدعة إسقاط الذنوب عن الميت بدفع المال، وغيرها.

وقد تصدى كثير من الدعاة لظاهرة إقامة الموالد فجعلوها من مضامين دعوتهم يحذرون الناس من الوقوع فيها ويبينون الحق والصواب في ذلك، ولاسيما مع انتشارها وكثرة تكرارها.

والمراد بالموالد هو الاحتفال بذكرى قدوم النبي ﷺ على هذه الدنيا، أي مولده.

---

(١) ابن تيمية: هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الحنبلي، أبو العباس تقي الدين. الإمام المشهود له برسوخ القدم في علوم النقل والعقل. ولد في حران عام ٦٦١هـ وتحول إلى دمشق، ونبغ واشتهر وأصبح مرجعاً في الفتوى، وأفتى بمسائل أوذي من أجلها وسجن أكثر من مرة، ومات في السجن. كان رحمه الله آية في التفسير والأصول، له مؤلفات جمع كثير منها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم في كتاب أسماه «مجموع الفتاوى»، كما أن له: درء تعارض العقل والنقل، وغيرها. توفي عام ٧٢٨هـ. انظر «الأعلام» ١/ ١٤٤.

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه. انظر: صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي (١/ ٣٤١) كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة النبي محمد ﷺ ونسخ الملل بملته. حديث رقم ٢٤٠.

(٣) انظر: د. يوسف القرضاوي «فتاوى معاصرة» ١/ ١٩٣، ط الكويت ١٤١٦هـ (١٩٩٦م).

ومعلوم أن هذه الذكرى لم يحيها أحد من أصحاب القرون الأولى الفاضلة، كما لم يرد في الندب لها نص صريح من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه الكريم ﷺ بل استحدثها وابتدعها العبيديون[١] في القرون المتأخرة، فهم أول من ابتدع فكرة الاحتفال بالمولد النبوي، وجعلوه من الأعياد العامة[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «مع اختلاف الناس في مولده ﷺ فإن هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضى له (وهو محبته ﷺ) وعدم المانع منه، ولو كان هذا خيراً محضاً، أو راجحاً، لكان السلف (أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً»[٣].

لقد تطرق العلماء الربانيون في شمال القوقاز لهذه البدعة قديماً وحديثاً وبينوا وجه الانحراف فيها، ومن أولئك الشيخ علي الغموقي والشيخ مسعود المهوقي[٤] والشيخ أبو سفيان الغرانشي[٥] في مطلع القرن الميلادي العشرين.

---

(١) العبيديون: هم فرقة من فرق الرافضة يسمون العبيديين أو الفاطميين. يقولون بعصمة المعز معد بن تميم ـ الذي بنى القاهرة ـ من الذنوب والخطأ، وقد طعن جمهور الأئمة في نسبتهم إلى النبي ﷺ، وذكر العلماء أن مذهبهم شر من اليهود والنصارى، بل شر من مذهب غلاة الرافضة. انظر: «معجم ألفاظ العقيدة» ص ٢٨٠.

(٢) انظر: علي بن بخيت الزهراني «الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة» ص ٣٨٣ وما بعدها. ط (٢) دار طيبة ـ مكة المكرمة، ١٤١٨هـ (١٩٩٨م).

(٣) شيخ الإسلام ابن تيمية «اقتضاء الصراط المستقيم» ص ١٢٣-١٢٤، ق: د. ناصر العقل، ط (٧) وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ـ المملكة العربية السعودية ١٤١٩هـ (١٩٩٩م).

(٤) الشيخ مسعود المهوقي: هو أبو محمد مسعود المهوقي الداغستاني، تلقى العلوم والمعارف على يد علماء عصره في داغستان، فنبغ في اللغة العربية، وبرع في علومها، وكان له تفوق على أقرانه، وصار من المصلحين والمفكرين الداغستانيين، تأثر بدعوة الشيخ علي الغموقي إلى الاجتهاد، وانضم إليه فدعا إلى الاجتهاد ونبذ التقليد، وألف كتاباً في هذا الصدد أسماه «خرق الأسداد عن أبواب الاجتهاد». وقد توفي المهوقي ـ رحمه الله تعالى ـ في مطلع القرن العشرين الميلادي. انظر: هانئ المهدي «أعلام وعلماء في تاريخ داغستان» ص ١٧٠ بحث مطبوع غير منشور.

(٥) الشيخ أبو سفيان الغرانشي: عالم ومفكر وأديب ومصلح اجتماعي داغستاني، حصل العلوم والمعارف على يد علماء عصره في داغستان، ثم سافر إلى المدن الروسية وتعلم فن الطباعة، فرجع إلى داغستان وأنشأ مع صاحب له أول مطبعة إسلامية في شمال القوقاز بتميرخان شورة عاصمة داغستان سابقاً، وتسمى مدينة «بيوناكس» حالياً، ألف الغزانيشي عدة كتب باللغة القوموقية والعربية، من أهمها كتاب «الأصول الجديدة»=

أما من العلماء الربانيين المعاصرين الأحياء فقد بيَّن كثير منهم وجه الضلال والزيغ لهذه البدعة المحدثة، ومن أولئك العلامة الشيخ حسام الدين الطبسراني، والشيخ عز الدين البوني، والشيخ بهاء الدين الأواري، والشيخ أحمد حمزة الشيشاني، والشيخ عيسى بن سلطان الأنغوشي وغيرهم الكثير من العلماء وطلبة العلم والدعاة.

ويصف الشيخ علي الغموقي رحمه الله ما يقع في الموالد من البدع والمنكرات فيبين أنه انتقل إلى المنطقة وهي مملوءة بالمفاسد والمنكرات، فتلقاها الناس بالقبول، وعكفوا عليها يعملونها ويصنعون لها الولائم، وينتخبون لإنشاد قصائدها من المنشدين أحسنهم صوتاً وأطربهم نغمة، فيستمعون لها ويتلذذون بنغمات الصوت دون أن يفهموا مما يسمعونه شيئاً! وربما يزيد فيه المتصوفة منهم تلاوة أسماء مشايخهم الذين ينتسبون إليهم، ومشايخ مشايخهم إلى آخر السلسلة، وإنشاد مدائحهم.. ويحصل لهم عند سماعهم أسماء مشايخهم وألقابهم ـ التي ما أنزل الله بها من سلطان ـ من التواجد والوله والسكر ما لا يحصل لهم مثله ولا قريب منه عند سماع كلام الله تعالى وحديث رسوله المصطفى ﷺ. وربما يزيدون فيه الرقص وضرب الدف على ذكر اسمه تبارك وتعالى، فيخلطون اللهو بالعبادة[1].

ومن المنكرات في ذلك أن بعضهم يقدمونه ـ أي عمل المولد ـ على أداء ما عليهم من الديون اللازمة، فيعملونه ويصرفون فيه ما عندهم، ويؤخرون ما عليهم من الحقوق الواجبة لله تعالى أو لعباده، ويرجحون بذلك البدعة على الفرض، وربما يضطرون بعد ذلك إلى التضييق على أهليهم.

لقد بيَّن بعض العلماء وطلبة العلم المعاصرين وجه الزيغ والضلال في الموالد، وما يرافقها من انحراف وغلو يذهب بمعالم الدين ويصرف الناس عن الصراط المستقيم. فلقد جرت مناظرات عدة بين الصوفية ومخالفيهم في شمال القوقاز ـ لاسيما في داغستان ـ

= وهو أول كتاب مدرسي في تاريخ داغستان لتعليم الأطفال القراءة والكتابة، سافر إلى مصر والتقى فيها بالشيخ رشيد رضا وكتب عنه مقالة بعنوان «نهضة الداغستانيين». وقد توفي الغزانيشي عام ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) بالمعتقل السياسي بشمال سيبيريا. انظر: هانئ المهدي «أعلام وعلماء في تاريخ داغستان» ص ٢٧٦ وما بعدها.

(١) انظر: الشيخ علي الغموقي، صحيفة «داغستان»، مقالة بعنوان «موالدنا»، عدد ٥٢ بتاريخ ١٨/ ١٢/ ١٣٣٣هـ (٢٦/ ١٠/ ١٩١٥م).

بيّن فيها العلماء والدعاة بدعية الموالد وبدعية ما يقع فيها، وأنها ليست من شعائر الدين ـ كما يزعم أولئك المتصوفة ـ وأكدوا أنه لا يجوز التقرب إلى الله تعالى بهذه الموالد لأسباب عدة منها[١]:

١- كونه جعل شعيرة من شعائر الدين وقربة، من أنكرها فكأنما أنكر ركناً من أركان الدين، مع أن أهل القرون الثلاثة الأولى لم يعملوا به قط.

٢- كونه جعل عيداً للمسلمين في ذكرى ولادته ﷺ بلا دليل قطعي الثبوت من كتاب الله تعالى أو من سنة رسوله ﷺ.

٣- كونه وقع فيه التشبه باليهود والنصارى في أعيادهم (مثل ميلاد المسيح عليه السلام).

٤- تكراره كعبادة مستمرة لا بسبب ذكرى المولد فقط، وإنما لأسباب كثيرة متعددة فيفعل في الأسبوع وفي الشهر وفي السنة عشرات المرات.

٥- كونه في بعض الأماكن وسيلة لاختلاط الرجال بالنساء.

٦- كونه في بعض الأماكن تستعمل فيه آلات الموسيقى والطرب المحرمة.

٧- أصبح وسيلة للتفاخر بين الناس حتى من كان منهم بعيداً كل البعد عن الدين وحتى لو كان لا يصلي.

٨- تذكر فيه القصص والروايات المكذوبة التي لا أصل لها في ذكر مولده ﷺ، وذكر الملائكة، والحور العين،...إلخ.

٩- الغلو والإطراء في المدح بما لا يقره الشرع، وقد يصل الحد إلى ألفاظ تقترب من الشرك كطلب النجاة من النار من الرسول ﷺ بذاته، وغيرها من الألفاظ.

١٠- كونه جعل باباً للرزق في كثير من المدن والقرى، يأكل به البعض بقراءته وإنشاده، لا بقصد القربة إلى الله. فلقد أصبح في كثير من الأماكن باباً للرزق، وصار مدح النبي ﷺ يقدر بالنقود والدراهم[٢].

---

(١) انظر: الشيخ علي الغموقي، صحيفة «داغستان»، مقالة بعنوان «موالدنا»، بتاريخ ١٦/ ٢/ ١٣٣٣هـ (٢/ ١/ ١٩١٥م).

(٢) رسالة الأستاذ محمد علي المدرس بقرية كرمافي الداغستانية إلى الشيخ محمد مختار مفتي قومية القوموق، نقلاً عن: هانئ المهدي «التصوف في داغستان في القرون الثلاثة الأخيرة» ص ٢٣٥.

يقول العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين[١] رحمه الله: «الاحتفال ـ أي بالمولد ـ لا أصل له، لأنه لو كان من شرع الله لفعله النبي ﷺ أو بلغه لأمته، ولو فعله أو بلغه لوجب أن يكون محفوظاً لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩]»[٢].

(١) محمد بن صالح العثيمين: هو العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي، ولد في عنيزة بنجد عام ١٣٤٧هـ، حفظ القرآن ثم درج في طلب العلم حيث لازم الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي وأخذ عنه التوحيد والتفسير والحديث والفقه وأصوله والفرائض ومصطلح الحديث والنحو والصرف، كما أخذ عن الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله. تولى الشيخ محمد إمامة الجامع الكبير بعنيزة والتدريس بالإضافة إلى عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، وكان لفضيلة الشيخ نشاط كبير في الدعوة إلى الله عز وجل، كما أن له أكثر من أربعين كتاباً أو رسالة مؤلفة في أحد علوم الشريعة الإسلامية. انظر: فهد بن ناصر السليمان «مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين» ١/ ٩ جمع: فهد بن ناصر السليمان، ط (٢) دار الثريا، الرياض ١٤١٤هـ (١٩٩٤م).

(٢) انظر: «مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين» ٢/ ٢٩٨.

المطلب الثاني:
المضامين المتصلة بالجوانب الأخلاقية:

- **الضمون الأول: مواجهة مظاهر الفساد والانحلال الأخلاقي:**

نظراً لانعزال المسلمين في الاتحاد السوفييتي السابق عن العالم الإسلامي، وقهرهم تحت نير الاحتلال الروسي، وفرض سياسته المنحرفة ومبادئه الفاسدة عليهم، فقد نشأ جيل في المنطقة متأثر بتلك السياسة الغاشمة، وبهذه المبادئ المنحلة مما أشاع جواً من الانحلال الأخلاقي والفساد الاجتماعي داخل المجتمعات المسلمة في الإقليم.

ومن أبرز مظاهر هذا الفساد: شرب الخمور، والزنا، والقتل، والسرقة، وغير ذلك.. فالخمور تباع في الشوارع، حيث تصنع بكثرة في المنطقة، فهم يصدرون الخمر إلى البلاد الأوربية والروسية. كما ينتشر الزنا، فمظاهر العري والخلاعة تسود المنطقة. أما السرقة فهي في وضح النهار، والقتل العلني في الشوارع، والغش في الأسواق ولاشك أن هذا كله نتيجة طبيعية للبعد عن الدين والجهل به.

ولقد اهتم الدعاة على اختلاف مواقعهم (مدرسين، وكتاب، وخطباء، وغيرهم) بهذه الناحية اهتماماً بالغاً نظراً لخطورتها على أمن المجتمع وسلامته، فحاولوا معالجة هذه القضية من خلال تنشئة النشء الصغير تنشئة صالحة على آداب الإسلام، وتوجيه الشباب إلى مكارم الأخلاق، وإصلاح حال المرأة بدعوتها للعفة والطهارة. فأقاموا لتحقيق ذلك المحاضرات في المنتديات، وأصدروا الكتب والرسائل، مبرزين فيها أن الدين هو حسن الخلق، موضحين الجواهر الحقيقية لأركان الإسلام، حيث تنهى الصلاة عن الفحشاء والمنكر، إذ يقول تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥] والزكاة تطهر القلوب وتزكي النفوس، يقول تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]،

والصيام يعين على التقوى والصبر وكف الأذى عن الغير: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]. وقوله ﷺ: «وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم»[١]. والحج يعين على التحمل ويروض النفس على تجنب الفسق والجدال. قال تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة: ١٩٧].

ولا يزال موضوع مواجهة مظاهر الفساد ومحاصرة الانحلال الأخلاقي شغل الدعاة الشاغل في المنطقة، يتناوله الخطباء باستمرار في خطبهم والدعاة في وسائلهم، نسأل الله تعالى لهم التوفيق في عملهم والهداية لهم ولغيرهم. إنه الهادي إلى سواء السبيل[٢].

- **الضمون الثاني: الدعوة الى وحدة الصف والتآخي ونبذ العصبية القبلية:**

لقد كان القوقاز قبل الفتح الإسلامي تقطنه شعوب متناحرة وقبائل متنافرة مختلفة العادات واللغات والتقاليد إلى أن جاءها الفتح الإسلامي فجمع شمل هذه الشعوب وتلك القبائل ووحد صفوفها وكلمتها، وجعل اللغة العربية والدين الإسلامي قاسماً مشتركاً يجمعهم جميعاً.

وبقوا على هذا ردحاً طويلاً من الزمن إلى أن صاروا تحت الحكم القيصري الروسي، وبعدها أجبروا في الدخول تحت السيطرة الشيوعية فحاولت جمعهم على الإلحاد واللغة الروسية إلى أن انهارت الشيوعية، فبدأت مظاهر الفرقة والقومية والعصبية القبلية والفكرية تطل برأسها من جديد، وخاصة في منطقة شمال شرق القوقاز، تلك المنطقة المملوءة بالأعراق واللغات والعادات المختلفة.

فما أن انهار الاتحاد السوفييتي حتى صارت كل قومية أو قبيلة تتخذ منظمة عرقية لها وإدارة دينية خاصة بها، ولكل قومية مُفْتٍ خاص، فظهرت الاختلافات في تحديد أوائل الشهور العربية، لاسيما شهر رمضان المبارك، وكذلك أيام العيدين الفطر والأضحى المباركين.

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ. انظر: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٥/ ١٣٠) كتاب الصوم، باب (٢) فضل الصوم، حديث رقم ١٨٩٤. ورواه مسلم في صحيحه المطبوع مع شرح النووي (٣/ ٢١٧) كتاب الصيام، باب أخلاق الصائم، حديث رقم ١٦٠.

(٢) ذكره العديد ممن التقاهم الباحث أمثال: الشيخ موسى الأنغوشي، والشيخ أحمد حمزة الشيشاني، والأستاذ عمر الفاروق، والدكتور أحمد ياسين وغيرهم.

فداغستان ـ مثلاً ـ بالرغم من صغر مساحتها إلا أن أهلها يختلفون في أيام الصيام والأعياد، حيث تجد قرية تصوم اليوم، والقرية التي خلفها في الجهة الأخرى من الجبل تصوم غداً! وذلك لأن كل قرية تتبع مفتيها وشيخها، وإدارتها الدينية التابعة لها[١]!.

كما تبدو مظاهر الاختلاف والفرقة جلية في بناء كل قومية مساجد خاصة بها، ودعمها بأئمة من أبناء القومية؛ وعدم قبول أبناء القوميات الأخرى في مدارس أو معاهد معينة، وإن تم قبولهم فيكون ذلك على مضض.

وقد كان الصراع ولايزال محتدماً بين قوميتي القوموق والأوار على الصدارة الدينية في المنطقة، فقد انفردت قومية القوموق بإدارة الجامعة الإسلامية (جامعة الإمام الشافعي)، فتحكموا في قبول الطلاب الأوار ورفضوا قبولهم فيها، فكانوا يفضلون قبول الطلاب الجنوبيين (من القوميات الصغيرة الأخرى) على الطلاب الجبليين الأوار.

ولما بني المسجد المركزي بالعاصمة محاج قلعة بتمويل تركي، تنازعوا الصدارة والإمامة فيه، فكان للأوار إدارة المسجد، وكان للقوموق الإمامة، ولما اشتدت المنازعات بينهم، قاموا بعزل الإمام القوموقي وطرده[٢].

ولايزال التوتر على أوجه بين هاتين القبيلتين، فهم لا يسمحون بالتزاوج بين بعضهم البعض، كما أن القوموق يضيقون ذرعاً بنزوح الأوار من الجبال إلى السهل (محاج قلعة) حيث يمارسون أعمال التجارة، حتى رسخت أقدامهم فيها، ومما زاد في تفرقهم واختلافهم تلك العداوة الصارخة التي قامت بين المغالين من التيارين السلفي والصوفي، مما أدى إلى احتدام القتال بين بعضهم البعض في بعض القرى. ولهذا كانت الدعوة إلى وحدة الصف والتآخي ونزع العصبية القبلية قضية ومضموناً يشغل بال الدعاة، حيث وجه بعضهم جهده لمعالجته[٣].

فمن جهود الدعاة في سبيل نزع العصبية العرقية وتحقيق الأخوة الإسلامية إنشاء لجنة محايدة لقبول الطلاب الأكفاء من جميع الأعراق وسائر القوميات في الجامعة الإسلامية بداغستان، كما قاموا بعمل البرامج الطلابية كالرحلات والزيارات الاجتماعية المشتركة

---

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ذكره بعض من التقاهم الباحث.

من أجل إذابة روح الفرقة والعصبية. وبذلوا جهدهم في المحاضرات والخطب واللقاءات العامة مذكرين بأهمية توحد المسلمين والاعتصام بحبل الله المتين، محذرين من التفرقة والاختلاف والتنازع، كما جاء في محكم التنزيل: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [المؤمنون:٥٢]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾[آل عمران:١٠٥]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[الأنفال:٤٦]، مبينين لهم نهي الإسلام عن التفرقة والانقسام، مؤكدين أن الوحدة هي سبيل العزة والقوة التي تحفظ أهل الإسلام من كيد المتربصين وغدر الملحدين والصليبيين، منبهين على أحاديث النبي ﷺ في هذا الشأن، والتي منها قوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[(١)]، وذلك لكي يتضح لهم أن التنازع والشقاق والتفرقة إنما هي من صفات الكافرين الضالين، ولا يجوز أن تكون من صفات المؤمنين بحال، لأن مقتضى الإيمان هو الوحدة الجامعة.

- **المضمون الثالث: الاهتمام بالمرأة وتنشئتها على قيم الإسلام:**

لقد عمل الغزو الشيوعي الفكري والثقافي والاجتماعي عمله في عقل المرأة المسلمة في شمال شرق القوقاز، بل وفي سائر مناطق الاتحاد السوفييتي السابق، حيث استطاع إخراج المرأة لمشاركة الرجل في الأعمال الصعبة الشاقة، فهي الآن تقود الحافلات والقطارات، وتقوم بأعمال نظافة الشوارع وأعمال الحفر والبناء، وتجهيز الطرق وتعبيدها، مما أخرجها من أنوثتها، وغيّر من طبيعتها، فصارت نداً للرجل.

وما أن انهارت الشيوعية، وحل الغزو الثقافي والاجتماعي الأوربي الغربي للبلاد، حتى صارت المرأة المسلمة في روسيا بعمومها تقلد المرأة الغربية تقليداً أعمى، وتسير وراءها شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى فقدت شخصيتها وصارت أسيرة للغزو الفكري.

فبدأ السفور على أشده، والخروج من طاعة الرجل باسم الحرية المزعومة، وغدت المرأة المسلمة نهباً للطامعين، وسلعة رخيصة تباع وتشترى، خاصة بين التجار ورجال الأعمال. فكم

---

(١) رواه البخاري ومسلم عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، انظر: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٢/ ٢٨٩) كتاب العلم، باب (٤٣) الإنصات للعلماء، حديث ١٢١. ورواه مسلم في صحيحه المطبوع مع شرح النووي (١/ ٢٤٢) كتاب الإيمان، باب معنى قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفاراً...» حديث رقم ١١٨.

من مشاجرات ومنازعات وحوادث قتل صارت بسببها، وكم خراب للبيوت وشتات للأسر حدث من أجلها، لذا فقد وجه الدعاة أنظارهم واهتماماتهم للمرأة المسلمة في المنطقة وعملوا على تنشئتها على قيم الإسلام، مستخدمين في ذلك منهج التيسير والتدرج.

فمن دعيت إلى الصلاة فاستجابت وأدّتها، وأخرت ارتداء الحجاب شكر لها الدعاة ذلك، ودعوها للخطوة الأخرى. ومن غطت منهن رأسها، ولم تغطِّي الرقبة، أثنوا على هذه الخطوة ودعوها للخطوة الأخرى. ومن لم تستجب منهن، صبروا عليها، وكرروا دعوتها حتى يفتح الله قلبها للهداية[١].

ومن خلال تجربة الدعاة هناك وجدوا أن المرأة رقيقة القلب، ومرهفة المشاعر، سريعة التدين والخشية من الله عز وجل[٢] فكان إقبالها على التدين سريعاً للولوج في حياة طيبة، حيث يقول تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

وقال أيضاً: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

لذا رأت المرأة المسلمة هناك بعد هدايتها أنه تحتم عليها العمل لدينها كالرجل تماماً، وأنها ليست أقل من المرأة اليهودية والنصرانية والشيوعية التي تعمل لخدمة عقيدتها، وتبذل جهدها ووقتها ومالها لنصرتها، ولا تبالي ما يحدث لها من أجل دينها وعقيدتها.

فأقبلت على دراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية والفقه في الدين، ثم عملت بعد

---

(١) ذكره أحد المعلمين الدعاة العرب حيث يدرّس هو وزوجته علوم القرآن الكريم والعربية.

(٢) مثال على سرعة استجابة النساء حادثة محل شارع لينين، فقد حكى أحد مدرسي الجامعة الإسلامية العرب حكاية تدل على مدى سرعة استجابة النساء لأوامر الإسلام: ففي شارع لينين بالعاصمة «محاج قلعة» محل لبيع ملابس النساء، وقد عُلق على واجهة المحل صورتان كبيرتان لفتاتين عاريتين، فأخذ هذا الأخ لوحتين كبيرتين إحداهما للكعبة المشرفة، والأخرى للحرم المدني الشريف، وطلب من الفتاتين اللتين تعملان في المحل تبديل الصورتين العاريتين بصورة الكعبة والحرم المدني؛ مبيناً لهما مضار الخلاعة والسفور على الشباب والمجتمع بكلام هادئ راعى فيه مشاعرهما وواقعهما الأليم، وحثهما على الالتزام بآداب الإسلام وخاصة أنهما مسلمتان، فبادرتا بنزع الصورتين العاريتين، وطلبتا منه أخذ صورتي الكعبة والحرم المدني لتعليقهما في بيتيهما، كما طلبتا الوسائل التي تعينهما على التعرف على الإسلام من خلال الكتب والمجلات والأشرطة وغير ذلك.

ذلك في مجال الدعوة، فحرصت على توعية بنات جنسها، ودعوتهن إلى الالتزام بتعاليم الإسلام وقيمه، فأصبح منهن من عملت على تكوين أسرة مسلمة، بعد أن أكرمها الله بالزواج من شاب صالح، فكانت زوجة صالحة وأماً وفية، تشجع زوجها وتثبته، متخذة من أمهات المؤمنين ونساء الصحابة رضوان الله تعالى عليهن أسوة وقدوة. كما أن منهن من ذهبن للدعوة والتعليم في قراهن فكن خير معلمات وداعيات إلى الله تبارك وتعالى[١].

أما عن الوسائل التي استخدمها الدعاة في منطقة شمال شرق القوقاز للاهتمام بالمرأة وإصلاحها، فهي كما يلي:

ـ إنشاء مدارس خاصة للفتيات وتزويدها بالمعلمات العربيات[٢].

ـ عمل دورات للفتيات وإعداد برامج ثقافية وتربوية وترفيهية لهن ترفع من مستواهن الثقافي والدعوي، ويشرف على ذلك المعلمات العربيات.

ـ إمداد بعض مدارس الفتيات بالزي الإسلامي (الحجاب والجلباب) من قبل الهيئات الخيرية، وتوزيعه في البرامج الثقافية والترفيهية كهدايا عليهن.

ـ عمل برنامج مشغل خياطة لتفصيل الزي الإسلامي، بهدف نشر ارتداء الجلباب والحجاب الإسلامي في المنطقة، وقد تحقق ذلك بفضل الله، فما من قرية أو مدينة أو سوق أو مدرسة أو جامعة في المنطقة إلا فيه هذا المظهر الإسلامي[٣].

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث.

(٢) هؤلاء المدرسات زوجات المعلمين العرب في المنطقة عموماً.

(٣) ذكره بعض الدعاة المحليين والدعاة العرب حيث يعمل زوجاتهن في مجال التعليم والدعوة.

المبحث الثالث

وسائل الدعوة وأساليبها في شمال شرق القوقاز:

ويشتمل على مطلبين كمايلي:

المطلب الأول:

وسائل الدعوة في المنطقة.

المطلب الثاني:

أساليب الدعوة في المنطقة.

المبحث الثالث:

وسائل الدعوة وأساليبها في شمال شرق القوقاز:

إن المراد بوسائل الدعوة في هذا المبحث هي «ما يتوصل به إلى الدعوة»[١] ويحقق أهدافها، أو بمعنى آخر هي «القناة الموصلة للغاية، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس»[٢].

أما المراد بأساليب الدعوة هنا فهي «صيغ التبليغ في دعوة الناس»[٣]، أو بمعنى آخر هي «مجموعة الطرق العملية المتبعة في عرض الأفكار والتي يتعلمها الداعية ويطبقها أثناء تبليغ الدعوة إلى الناس»[٤].

(١) انظر: د. محمد أبو الفتح البيانوني «المدخل إلى علم الدعوة» ص ٤٩.

(٢) انظر: د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي «ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام» ص ٤٣ في الهامش.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٤٨ في الهامش.

(٤) انظر: د. محمد عبد القادر أبو فارس «أسس الدعوة ووسائل نشرها» ص ٩٠، ط (١)، دار الفرقان ـ عمان، ١٤١٢هـ (١٩٩٢م).

المطلب الأول:
وسائل[1] الدعوة في المنطقة:

لابد للمرء في سبيل تحقيق أهدافه، والوصول إلى غاياته من استخدام الوسائل والأساليب الشرعية التي تعينه على ذلك، فإن الله عز وجل قد ربط الأسباب بالمسببات، وأمر بالأخذ بالوسائل والأساليب المؤدية إلى الغايات. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾[المائدة: ٣٥].

والدعاة إلى الله تعالى هم أولى الناس بابتغاء الوسائل والأساليب التي تقربهم إلى الله تعالى، وتصل بدعوتهم إلى الناس، تمشياً مع سنن الله في الأرض، حيث جعل المولى من سنن الهداية إرسال الرسل الكرام، وتنزيل الكتب، وهو القادر على أن يهدي الناس جميعاً دون هذه الوسائل وتلك الأساليب.

ومن هنا كان لزاماً أن نتطرق للحديث عن وسائل الدعوة الإسلامية الفعالة وأساليبها في منطقة شمال شرق القوقاز في سبيل استجلاء حقيقة الواقع الإسلامي هناك.

لقد كانت الفرصة مواتية للدعاة إلى الله تعالى وللهيئات الإسلامية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي للعمل على النهوض بواقع المسلمين في القوقاز، فاتخذوا الوسائل الدعوية المعينة على تحقيق غايتهم وبلوغ مأربهم.

ومن أبرز الوسائل الدعوية التي استخدمها الدعاة في المنطقة هناك مايلي:

١- إنشاء المدارس والمعاهد الأهلية الإسلامية.

٢- بناء المساجد والمراكز الإسلامية.

---

(١) الوسائل: جمع وسيلة. والوسيلة: المنزلة والدرجة والقربة والوصلة. قال تعالى: «أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة». [سورة الإسراء: ٥٧]. وجاء في لسان العرب: «الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير». انظر: «لسان العرب» ١١/ ٧٢٤، و«القاموس المحيط» ١٣٧٩.

٣- إعداد الدعاة.

٤- ترجمة وإصدار الكتب والنشرات.

٥- إنشاء المستوصفات الطبية.

٦- تقديم الإغاثات والمساعدات العاجلة.

٧- الاستفادة من وسائل الإعلام.

٨- إقامة الندوات والمؤتمرات المحلية.

٩- إرسال البعثات الطلابية.

١٠- إقامة المخيمات التربوية الصيفية.

١١- الاحتفال بالأعياد الإسلامية والمناسبات المختلفة.

ومن الإيجاز إلى التفصيل:

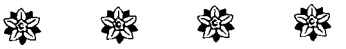

١- إنشاء المدارس والمعاهد الأهلية الإسلامية:

أدرك القائمون على أمر الدعوة الإسلامية في المنطقة أن المدخل الرئيسي في سبيل النهوض بواقع المجتمعات المسلمة في المنطقة إنما يكون برفع الجهل وتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية، ذلك أن الجهل هو مركز داء هذه الأمة، وهو التربة الخصبة لبذور العلل فيها. من هنا حرص القائمون على أمر الدعوة على إنشاء المدارس والمعاهد والكليات، وانتخبوا لها من أفضل العناصر في العالم الإسلامي ومن المحليين للتدريس فيها، لأن المعلم القدوة له أثره البالغ في شخصية الناشئة والشباب، لما يتمتع به من مكانة عظيمة في نفس الطالب، وخاصة تلك الآداب الرفيعة والقيم الحميدة والقدوة الحسنة والعلم النافع والتي بها تتحقق مثالية التربية والتعليم في الناشئة والشباب.

لقد شهد الكثير بتميز المؤسسات التعليمية الإسلامية التي أقامتها المؤسسات الخيرية العربية في شمال شرق القوقاز[1]، وذلك لاهتمامها بالمعلم القدوة المحلي والعربي، وحرصها على نوع ومستوى المناهج الدراسية التي تدرس في تلك المؤسسات التعليمية.

وكان من أهم أهداف إنشاء تلك المؤسسات التعليمية مايلي:

- تنشئة الشباب على مفاهيم وقيم الإسلام الصحيحة عقيدة وشريعة وأخلاقاً.
- تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية.
- تحفيظ القرآن الكريم وتعلم معانيه.
- إعداد الكوادر اللازمة من أبناء المنطقة وتأهيلها للقيام بواجب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

وفي سبيل العمل على تحقيق تلك الأهداف، بذل القائمون على أمر تلك المؤسسات وسعهم لإنشاء ودعم العديد من المدارس والمعاهد والكليات، كما بذلوا وسعهم في سبيل إنشاء عشرات المراكز التي تعنى بتحفيظ القرآن الكريم في المنطقة.

والجدول التالي يبين أبرز المدارس والمعاهد التي أنشئت أو دعمت في المنطقة وبيان المؤسسات الداعمة.

---

(١) زار الباحث بعضاً من تلك المدارس والكليات، واطلع على المستوى الجيد لطلابها ومعلميها.

جدول رقم (٤): أبرز المدارس والمعاهد الإسلامية في المنطقة.

تسلسل	المدرسة أو المعهد أو الجامعة	المكان	المستوى	المؤسسة المنشأة أو الداعمة	إنشاء أو دعم
(١)	جامعة الإمام الشافعي	العاصمة الداغستانية	ثانوي وجامعة (بنين)	هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	دعم بالمعلمين والمناهج
(٢)	مدرسة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)	العاصمة الداغستانية	متوسط (بنات)	هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	إنشاء كامل ودعم
(٣)	مدرسة البوني الإسلامية	منطقة بوتليخ بداغستان	متوسط (بنين وبنات)	هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	إنشاء كامل ودعم
(٤)	مدرسة عندي الإسلامية	قرية عندي بمنطقة بوتليخ بداغستان	متوسط (بنين وبنات)	هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	إنشاء كامل ودعم
(٥)	معهد الشهيد حسن أفندي	منطقة كربيل بداغستان	متوسط (بنات)	هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	الدعم بالمناهج
(٦)	مدرسة كوالي الإسلامية	منطقة غنيب بداغستان	متوسط (بنين وبنات)	هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	إنشاء ودعم
(٧)	مدرسة دار الحكمة (تم إغلاقها)	منطقة كزليورت بداغستان	متوسط (بنين)	مؤسسة سار الخيرية	إنشاء كامل ودعم
(٨)	مدرسة تلوخ	منطقة بوتليخ بداغستان	متوسط (بنين وبنات)	هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية	نصف دعم
(٩)	كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية	العاصمة الشيشانية	جامعة (بنين)	لجنة الدعوة الإسلامية الكويتية	إنشاء كامل ودعم
(١٠)	المدرسة الشيشانية الكويتية	مدينة غودرمس الشيشانية	متوسط (بنين وبنات)	لجنة الدعوة الإسلامية الكويتية	إنشاء كامل ودعم
(١١)	معهد الملك فهد (المعهد الإسلامي حالياً)	أنغوشيا	ثانوي (بنين)	الندوة العالمية للشباب	إنشاء كامل ودعم
(١٢)	معهد البر الإسلامي (تم إغلاقه)	أنغوشيا	ثانوي (بنين)	الندوة العالمية للشباب	إنشاء كامل ودعم

٢- بناء المساجد والمراكز الإسلامية:

اهتم الدعاة في داغستان والشيشان والأنغوش ببناء المساجد اهتماماً كبيراً، فالمسجد هو رمز لهذا الدين، فهو مكان العبادة، ومحضن التربية، ومدرسة الإيمان. من هنا فقد حرص دعاة الإسلام كل الحرص على إعادة مئات المساجد التي حولت إلى مرافق خدمية زمن الإلحاد والشيوعية، فقاموا ـ بمساعدة المؤسسات الإسلامية العربية ـ بإعادة ترميمها وتجهيزها بما يلزم لاستقبال روادها من المؤمنين، كما قاموا ببناء عشرات المساجد الجديدة.

لقد أصبح صوت الأذان مدوياً خمس مرات في اليوم ـ بفضل الله تعالى ـ في المدن والقرى، وأصبح عباد الله يرتادونها بلا خوف ولا ملاحقة وتضييق.

أما المراكز الإسلامية فلايزال عددها محدوداً في المنطقة، ويبدو أن ذلك عائد لأسباب عدة منها: قلة الكوادر المؤهلة من الدعاة أصحاب الخبرة بالعمل المؤسسي، والنظرة غير الإيجابية التي ينظر بها المسؤولون الرسميون تجاه تلك المراكز والقائمين عليها.

ومن أهم المراكز الإسلامية في المنطقة «المركز الإسلامي» بداغستان، وكان يرأسه الدكتور أحمد قاضي رحمه الله ، وكذلك «مركز الرسالة» في العاصمة الشيشانية غروزني، ويرأسه الشيخ أحمد حمزة ـ يحفظه الله.

أما عن أهم الأعمال والأنشطة التي تقوم بها المراكز مايلي:

- إعداد دورات في العلوم الشرعية للطلاب والطالبات.
- إقامة محاضرات في التوعية الشرعية للطلاب والطالبات.
- إقامة المسابقات في حفظ القرآن الكريم سنوياً.
- إصدار الكتيبات والنشرات والأشرطة السمعية والمرئية للتوعية.
- إرشاد المؤسسات بما يلزم من بناء مساجد وكفالة أيتام ونحو ذلك.
- تربية الشباب والنشء على قيم الإسلام وآدابه، وغيرها من النشاط[1].

(١) ذكره للباحث الشيخ أحمد حمزة وآخرون.

٣- إعداد الدعاة:

الداعية إلى الله عز وجل هو حجر الزاوية في عملية الدعوة، فكان لابد من إعداده إعداداً متكاملاً يؤهله للقيام بأشرف الأعمال وأجلها، كما قال ربنا سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

ولقد كانت بعض المؤسسات والهيئات الإسلامية تحرص على إعداد الدعاة إعداداً علمياً وتربوياً ودعوياً، ثم بثهم في القرى والمناطق المختلفة في المنطقة مع تعهدهم ورعايتهم علمياً وتربوياً وثقافياً، وكفالتهم مادياً. فكان الداعية يقوم بالتدريس والإمامة والخطابة في مسجد القرية، ويعايش الناس ويعمل على حل مشكلاتهم، والإجابة على استفساراتهم في أمور دينهم، ويهتم بالنشء الصغير، حيث كان على كل داعية تجهيز مجموعة من الأشبال للاشتراك بهم في المخيم الصيفي التربوي للأطفال بالمنطقة. وكانت الهيئات تحرص على إقامة دورات تدريبية لهؤلاء الدعاة للنهوض بمستواهم العلمي والثقافي، وتنمية قدراتهم ومهاراتهم في فن الدعوة إلى الله تعالى.

فعلى سبيل المثال قامت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية وحدها بإعداد **٧٢** داعية في داغستان، وعدد **٢٠** داعية ـ تقريباً ـ في الشيشان والأنغوش، كما قامت جمعية الإصلاح الكويتية، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، وجمعية قطر الخيرية وغيرهما بإعداد مجموعات أخرى من الدعاة ورعايتهم وكفالتهم[١].

٤- ترجمة وإصدار الكتب والنشرات:

لاريب أن الكتاب أحد أهم مصادر التلقي والتعليم، فهو الركن الركين والمرجع الأمين؛ وكم عانى العلماء والدعاة من النقص الشديد في الكتب لا سيما في سنوات الحكم الشيوعي، وأمام هذا النقص الشديد في الكتب الشرعية كان طلاب العلم يلجؤون إلى تقسيم الكتاب الواحد أقساماً عدة، يأخذ كل طالب قسماً منها بالتناوب، وربما نسخ الكتاب باليد كي يتسنى لأكبر عدد ممكن من طلبة العلم الاطلاع عليه[٢].

ومع الانفتاح على العالم الخارجي والتواصل مع العالم الإسلامي، أصبح لزاماً على

(١) ذكره العديد ممن التقاهم الباحث.

(٢) ذكره بعض من التقاهم الباحث.

المؤسسات والأفراد العمل على ترجمة وإصدار الكتب الموثقة التي تيسر على طلاب العلم التحصيل والتزود من علوم الإسلام، ومع تضافر الجهود أثمرت الأعمال نتائج لابأس بها رغم تأخرها بعض الشيء.

لقد جاءت ترجمة وإصدار الكتب والنشرات تقويماً لما هو سائد في المجتمع من مفاهيم وتصورات خاطئة حول الإسلام، حيث يظن البعض أن هذا الدين إنما هو أداء لبعض الشعائر وحسب، وأنه لا يمثل منهجاً حضارياً ولا قيماً سامية. فالإسلام ـ في نظر أولئك ـ لا علاقة له بالمجتمع المدني، ولا تأثير له في الحياة، كما أنها جاءت تقويماً للمعتقدات المنحرفة والعبادات البدعية التي يظن كثير من الناس أنها من الدين وهي ليست من الإسلام في شيء.

لقد كان للترجمة وإصدار الكتب والنشرات أثرها الفاعل في مواجهة الفكر الإلحادي، حيث لايزال بعض الأساتذة في الجامعات يؤمنون بأن الطبيعة هي الخالقة؛ وأن الكون جاء صدفة! ومنهم من يؤمن بعدم وجود العدل في الكون ـ والعياذ بالله ـ فهو ينفي يوم الحساب! وغير ذلك من المعتقدات الباطلة التي هي من تأثير الشيوعية البائدة. فكان للكتب والنشرات أثرها الواضح على معتنقي تلك الأفكار وغيرهم[١]، حتى قال أحد الأساتذة في إحدى الجامعات الحكومية بعد قراءته إحدى الرسائل: «ما كنا نتوقع أن يكون للإسلام علاقة بالحياة بهذا الشكل، وأن يكون له دور فاعل في حياتنا العقلية والنفسية والروحية والمادية!»[٢].

والجدول التالي يبين بعضاً من الكتب والرسائل والنشرات التي ترجمت أو ألفت ووزعت في المنطقة.

٥- إنشاء المستوصفات الطبية:

وجاء إنشاء هذه المستوصفات من أجل علاج مرضى المسلمين بالمنطقة ورعايتهم صحياً. وقد استطاع الأطباء ـ بفضل الله تعالى ـ توظيف هذه الوسيلة؛ واستخدامها لبث

(١) انظر: بيان ببعض الكتب والرسائل التي ترجمت أو ألفت في شمال شرق القوقاز، وذلك في الجدول رقم (٢) ص ١٩٨.

(٢) ذكره أحد الأخوة الدعاة عندما التقاه الباحث.

روح الإيمان في نفوس أبناء المنطقة وربطهم بدينهم وعقيدتهم وحثهم على طلب الشفاء من الله تعالى لكونه سبحانه هو وحده الشافي، وأنه سبحانه ما خلق داء إلا وخلق له دواء، وكان ذلك يبعث الأمل في نفوس المرضى ويقوي الإيمان بالله عز وجل في قلوبهم.

ومن هذه المستوصفات مستوصف الدكتورة عائشة بمحاج قلعة بداغستان، وكان ذلك بتمويل هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية هذا بالإضافة إلى الأدوية التي كانت توزعها المؤسسات الخيرية على المستشفيات والوحدات الصحية التابعة للحكومة.

كما أنشأت هيئة الإغاثة مستوصفاً في غروزني، ملحقاً به صيدلية لصرف الدواء بأسعار مخفضة لمواطني هذه الجمهورية. وقامت لجنة الدعوة الإسلامية التابعة لجمعية الإصلاح الاجتماعي الكويتية بجهود كبيرة في المجال الطبي، حيث وقفت إلى جانب الشعب الشيشاني في محنته الأولى مع الأوستين ثم في محنته الثانية مع الروس، فقامت بتزويد بعض مستشفيات الشيشان بالدواء والمعدات الطبية، كما قامت مؤسسات إسلامية أخرى بجهود مماثلة في المجال الطبي كالندوة العالمية للشباب، وجمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتية وغيرها.

٦- تقديم الإغاثات والمساعدات العاجلة:

لقد كان للإغاثات والمساعدات التي قدمتها الهيئات الإسلامية الخيرية في المنطقة أثرها الكبير في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى فقد أشعرت المسلمين هناك بكيان المسلمين وبجسدهم الواحد، وصدق فيهم قول النبي ﷺ: «**مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»(١). وقوله ﷺ: «**المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً**»(٢). فقد أحسوا بقرب إخوانهم المسلمين العرب منهم، ونهضتهم السريعة للوقوف بجانبهم عند الشدائد. وقد تجلى ذلك في حادث فيضان بحر قزوين عام ١٤١٦هـ (١٩٩٦م) والذي غرقت فيه العديد من القرى شمال داغستان، وفسدت أطنان من المحاصيل الزراعية، ونفقت أعداد هائلة

(١) رواه البخاري عن النعمان بن بشير رضي الله عنه. انظر: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (١٣/ ٥٣٧) كتاب الأدب، باب (٢٧) رحمة الناس والبهائم، حديث رقم (٦٠١١).

(٢) رواه البخاري عن أبي بردة بريد بن أبي بردة رضي الله عنه قال: «المؤمن للمؤمن...». انظر: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (١٣/ ٥٥١) كتاب الأدب، باب (٣٦) تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً، حديث رقم (٦٠٢٦).

من الماشية. فهب مكتب هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية لنجدتهم بإيواء المشردين وكسوتهم وتجفيف دموعهم.

كذلك بادرت الهيئة وجمعية قطر الخيرية معاً بإنقاذ ضحايا حادث السيول الذي وقع في المناطق الجبلية جنوب داغستان. هذا فضلاً عن المساعدات العظيمة التي قدمتها هذه الهيئات والجمعيات للشعبين الأنغوشي والشيشاني من اللاجئين بعد محنتهم في حرب الأنغوش والأوستين؛ والشيشان والروس، وكان لهذا أثره الكبير في التأليف بين قلوب العجم والعرب، وثناء الحكومات المحلية على الهيئات الإسلامية وكسب احترامها وتقديرها.

٧- الاستفادة من وسائل الإعلام:

لا يخفى على أحد ما لوسائل الإعلام من التأثير الفعال على الفرد والمجتمع، وقد استخدم الدعاة هذه الوسيلة في المنطقة على قدر إمكانياتهم المتاحة في تصحيح مفاهيم ومعتقدات خاطئة عن الإسلام والمسلمين، ونشر الوعي، وإحياء الشعائر الدينية، وعرض البرامج الهادفة، والأنشطة الدينية التي تقام في الجمهوريات كافتتاح المساجد وتنظيم المسابقات، وغيرها.

فمثلاً: عرض كل من التلفزيون الداغستاني والشيشاني فيلم «الرسالة»، وفيلم «الهجرة»، و«تاريخ بداية الإسلام»[1] للتعريف بحياة النبي ﷺ و«تاريخ بداية الإسلام»؛ لجهل الكثير من الناس هناك بدينهم.

كما كان التلفاز منبراً لتذكير شعوب المنطقة أجمعها بحلول شهر رمضان المبارك من كل عام، وبعيدي الفطر والأضحى المباركين، وتهنئة المسلمين بهما. بالإضافة إلى تلاوة آيات من القرآن الكريم؛ وبعض الدروس القصيرة لبعض المشايخ، لاسيما في شهر رمضان.

كما عرض التلفاز الأنغوشي برنامج المخيم الصيفي الذي أقيم لطلاب «معهد الملك فهد» بإحدى المتنزهات هناك عام ١٤١٤هـ (١٩٩٤م)، وكان لهذا أثره العظيم على الناس في بيان مظاهر الحياة الإسلامية داخل المخيم، وكان للتلفزيون أثره في إشعار الناس بالجو الإيماني والروحي والأخوي في المخيم عبر الأثير[2].

---

(١) ملاحظة: قد تشتمل بعض تلك الأفلام على بعض الأخطاء والمخالفات الشرعية، لذا يجب الانتباه والحذر.

(٢) ذكره بعض من التقاهم الباحث.

٨- إقامة الندوات والمؤتمرات المحلية:

بعد انهيار الشيوعية ووقوف المجتمعات المسلمة في القوقاز على مفترق طرق، فإن الندوات والمؤتمرات المحلية تسهم بشكل فاعل في رسم معالم الطريق وتنوير المجتمعات بالنهج الذي ينبغي أن تسير عليه، لاسيما بين أوساط النخب الفكرية؛ من هنا فقد حرص بعض الدعاة على إقامة الندوات والمؤتمرات المحلية بهدف دعوة المجتمع إلى منهج الإسلام وبيان معالم منهج القرآن.

وقد كانت تلك الندوات والمؤتمرات إحدى الوسائل الدعوية الفاعلة في هداية العديد من أبناء المنطقة، ومن أمثلة ذلك عقد سلسلة من الندوات العلمية أقامها أفراد من الدعاة في جامعة غروزني الحكومية عام ١٤١٤هـ (١٩٩٤م).

وكان الهدف منها بيان عظمة الإسلام كونه ديناً شاملاً لمظاهر الحياة جميعاً، فقد حملت عناوين بعض تلك الندوات: «الإسلام والمجتمع»، «الإسلام والسياسة»، «الإسلام والمرأة»، «الإسلام والشيوعية»...إلخ.

وقد كان أثر هذه الندوات واضحاً على المسلمين وغيرهم، مما جعل إحدى المعلمات الروسيات في الجامعة تعلن إسلامها بعد ندوة من تلك الندوات.

كما كان لبعض الدعاة ندوات ومحاضرات ومؤتمرات حول الإسلام وحول اللغة العربية في كل من أكاديمية العلوم في جامعة داغستان، وفي النادي العربي بكلية الاستشراق في العاصمة الداغستانية؛ وفي جامعة الشيشان قبل الغزو الروسي، نذكر بعضاً منها كمايلي:

- مؤتمر دولي أقامته أكاديمية العلوم بجامعة داغستان حول شخصية الإمام شامل عام ١٤١٤هـ (١٩٩٤م).

- ندوة حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم نظمتها أكاديمية العلوم بجامعة داغستان عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م).

- ندوة حول المرأة المسلمة ودورها في المجتمع أقامها النادي العربي بكلية الاستشراق بداغستان عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م).

- سلسلة من الندوات أقامها بعض الدعاة في جامعة الشيشان قبل الغزو الروسي

تناولت عظمة الإسلام، وصلاحية شريعته لكل زمان ومكان.

لقد تركت هذه الندوات والمؤتمرات وأمثالها أثراً واضحاً في واقع المجتمع بشمال القوقاز ولاسيما في الجامعات على الطلاب والأساتذة على حد سواء؛ بل وعلى بعض صناع القرار، وعلى أولئك الذين كانوا يمثلون رموز الفكر الإلحادي ومناهضة الدين الإسلامي زمن الشيوعية والإلحاد.

٩- إرسال البعثات الطلابية:

انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢] قامت المؤسسات والهيئات الخيرية بإرسال الطلاب من المنطقة في بعثات دراسية إلى الجامعات الإسلامية وكفالة بعضهم مادياً.

فعلى سبيل المثال قامت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بكفالة أكثر من مائة طالب من المنطقة في جامعة الأزهر، وتزكية ما يقرب من مائة آخرين للدراسة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض؛ وجامعة أم القرى بمكة المكرمة؛ والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة[١].

كما قامت الندوة العالمية للشباب الإسلامي وجمعية الإصلاح ولجنة مسلمي آسيا الكويتية، وكذلك جمعية قطر الخيرية وغيرها بكفالة مئات الطلاب للدراسة في المعهد الديني بدولة الكويت، ومعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها في قطر، والجامعة الإسلامية في ماليزيا وغيرها.

بالإضافة إلى هذه الجهود المباركة يقوم الأزهر سنوياً بكفالة مئات الطلاب حيث يبعثون عن طريق الإدارات الدينية بالمنطقة، حتى قارب عدد طلاب المنطقة أربعمائة طالب عام ١٤٢٠هـ (٢٠٠٠م) في الأزهر. ولاشك أن الهدف من انبعاث هؤلاء الطلاب للدراسة إعدادهم وتأهيلهم علمياً وفكرياً وثقافياً وروحياً وأخلاقياً، للقيام بواجب الدعوة والتربية والإصلاح والتعليم والإرشاد في بلادهم عند عودتهم إليها بإذن الله تعالى[٢].

---

(١) ذكره أحد الدعاة في المنطقة.

(٢) زار الباحث العديد من طلاب المنطقة الدارسين في جامعة الأزهر وجامعات المملكة العربية السعودية والكويت.

١٠- إقامة المخيمات التربوية الصيفية:

إن إقامة المخيمات الصيفية للنشء والشباب سنوياً تأتي بهدف إعدادهم علمياً وتربوياً وثقافياً ورياضياً. وكان لهذه المخيمات آثارها الإيمانية والأخلاقية والعلمية الواضحة التي تسهم في تنشئة الشباب على قيم الإسلام وأخلاقه.

ففي المخيم يتعلم الأطفال والشباب أركان الإيمان والإسلام ويدرجون على الأخذ بالآداب الإسلامية، إضافة إلى تعلم الأبجدية العربية، وحفظ بعض من قصار سور القرآن الكريم.

وكان من أبرز المظاهر الإسلامية في المخيم خروج الأطفال مجموعات، وكل مجموعة لها مرب ينطلقون إلى الطهارة والوضوء ثم الصلاة يصيحون بشعارات إسلامية باللغة الروسية مثل: «المسلمون أمة واحدة» و«المؤمنون إخوة» و«شعارنا الحب في الله».. وغيرها.

ولاريب أن تلك المخيمات التربوية تترك آثارها الواضحة على الفتية بعد عودتهم إلى بيوتهم حيث يحافظ الكثير منهم على إقام الصلاة، والتخلق بأخلاق القرآن، ويرددون أدعية الطعام (التسمية والحمد) ودعاء النوم. مما ينعكس إيجاباً على أهل البيت جميعاً، ويضفي على المنزل طابعاً إسلامياً.

ولقد كانت المخيمات التربوية فرصة كبيرة لاحتكاك شباب المنطقة ببعضهم البعض حيث يتعارفون، ويتآخون فيما بينهم من خلال البرامج الرياضية والترفيهية المشتركة، مما يزيل روح العصبية القبلية بينهم، ويصبحون إخواناً في دين الله تعالى متحابين متناصحين.

فالمخيمات التربوية تعرض لهؤلاء الفتية النموذج المصغر للحياة الإسلامية المنظمة والهادفة، فكانوا يخرجون منها متأثرين جداً حيث تبعث في نفوسهم حب الالتزام والتمسك بالدين.

ولم تكن تلك المخيمات تخلو من بعض الأطفال الروس ممن ليسوا بمسلمين لكنهم على فطرتهم النقية. وكثيراً ما تترك تلك المخيمات التربوية أثرها عليهم، فقد حدث أن قال أحدهم، وعمره ١٣ سنة: عندما أعود إلى بيتي سأواصل الصلاة التي تعلمتها، وأدعو أمي إلى الإسلام، وأخبرها بأن الإسلام دين النظافة والتعاون والمحبة[١].

(١) ذكره أحد الدعاة الذين أسهموا في إعداد تلك المخيمات التربوية.

١١- الاحتفال بالأعياد الإسلامية والمناسبات المختلفة:

إن تعظيم شعائر الله تعالى وإظهارها قد حثت عليها الشريعة الإسلامية الغراء، فقد قال الخالق سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

ومن التعظيم لشعائر الإسلام الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى المباركين، حيث كان الدعاة يتخذون منها وسيلة وفرصة الاتصال الدعوي بالناس لتقوية وتدعيم العلاقات مع أهل المنطقة عند تهنئتهم بالعيد وإهدائهم الأضاحي التي تمولهم بها المؤسسات والهيئات الخيرية.

فبعد انهيار الشيوعية لم يكن القوم معتادين على الاحتفال بالعيدين المباركين، وكانت أيامهما عندهم كأيامهم العادية حيث يمارسون وظائفهم، وكأنه لا عيد عندهم، وكأنهم ليسوا مسلمين؛ فأخذ الدعاة على عاتقهم مسؤولية الإعلام والإعلان عن الأعياد، والتهنئة بهما عبر التلفزيون ووسائل الإعلام الأخرى، مع إقامة صلاة العيدين، والاحتفال بيوم العيد بإظهار البهجة والفرحة والله و المباح، ودعوة الناس إلى مظاهر الفرح، وبث ذلك على شاشات التلفزة مما جعل المسؤولين في داغستان يعلنون عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) أيام العيدين عطلاً رسمية في الدولة[1].

وكما أحيا الدعاة إلى الله تعالى الأعياد الإسلامية، كان لشهر رمضان المبارك النصيب الأوفر من الإحياء والتعظيم؛ لاسيما وأن فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، لذا فقد قسم بعض الدعاة أنفسهم على مساجد المدن في المنطقة يحيون ليالي الشهر الكريم بالصلاة والتهجد، مذكرين الناس بفضائل الشهر الكريم، وضرورة استثماره بالعبادة والطاعة، محيين سنة الاعتكاف في المساجد في العشر الأواخر من الشهر الفضيل، وكان للاعتكاف آثاره في تنمية الجانب الروحي وتقوية الجانب العبادي.

بالإضافة إلى ذلك كان للحث على أداء صدقة الفطر الأثر الكبير في غرس روح التكافل والتراحم فيما بين المسلمين.

وبعد شهر رمضان يتم التجهيز لموسم الحج، فكانت تعقد دورات التوعية في مركز الرسالة بالشيشان وفي الجامعة الإسلامية بداغستان وغيرها عن كيفية أداء مناسك الحج،

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث.

مستخدمين فيها الوسائل التعليمية كاللوحات وعروض الفيديو.

إن مسلمي منطقة شمال شرق القوقاز هم أكثر مسلمي روسيا أداءً لفريضة الحج، فنصاب روسيا سنوياً من الحج يقارب ٢٠ ألف حاج بينهم ١٧ ألفاً من داغستان وحدها، والباقون من عموم روسيا[١].

ومن ضمن المناسبات التي أحياها بعض الدعاة أيضاً: الاحتفال بالأعراس، ففي مطلع التسعينات الميلادية كان لا يمكن أن يتم عرس في المنطقة بدون خمر ورقص مع النساء، حتى ولو كان صاحب العرس مسلماً ملتزماً بعيداً عن مظاهر الانحلال والفجور فإن ذلك يتم رغماً عنه في بعض الأحيان، وإلا اتهم بالتزمت والتخلف!فكان من الواجب إيجاد البديل الإسلامي. من هنا عمل بعض الدعاة على تكوين مجموعة للإنشاد في الأفراح الإسلامية، حيث يحيون الليالي فيفرحون الناس، ويدخلون البهجة في نفوسهم في حدود الشرع وآداب الإسلام. وكان لهذا أثره في نفوس الناس حيث تعجب بعضهم وقال: لأول مرة أرى عرساً ناجحاً لا تدار فيه الخمرة، وقال آخر: لأول مرة نشعر بلذة الفرح في الإسلام.

تلك هي أهم وسائل الدعوة الإسلامية التي سلكها الدعاة إلى الله تعالى في المنطقة من أجل تثبيت أركان الدعوة في تلك الأصقاع.

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث.

المطلب الثاني:
أساليب[1] الدعوة في المنطقة:

١- استخدام الأدلة العلمية العقلية في الرد على شبهات الملحدين.

٢- إبراز تميز الإسلام وشموليته وسمو شريعته وأخلاقه.

٣- استخدام أسلوب الحكمة في التصدي للبدع والمنكرات.

٤- مراعاة سنة التدرج في التغيير.

٥- إحياء دور المسجد.

٦- تقوية الصلة مع بعض الجهات الحكومية المحلية.

٧- الاهتمام بالتخطيط المرحلي والاستراتيجي للدعوة.

ومن الإيجاز إلى التفصيل:

(١) الأساليب: جمع أسلوب، وهو في اللغة: الطريق، ويقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: أي طريقته ومذهبه وأسلوب الكاتب طريقته في كتابته. ويقال أخذ فلان في أساليب القول: أي في أفانين منه، انظر: «لسان العرب» ١/ ٤٧٣، و«القاموس المحيط» ١٢٥، و«المعجم الوسيط» ١/ ٤١١.
أما أسلوب الدعوة اصطلاحاً: فهو طريقة الداعي في دعوته. والأساليب الدعوية: هي الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته. انظر: «المدخل إلى علم الدعوة» ص ٤٧.

● ١- استخدام الأدلة العقلية العلمية في الرد على شبهات الملحدين:

إن في استخدام الأدلة العقلية والحقائق العلمية يتجلى فضل الإسلام على الأديان الأخرى، وتفوقه على سائر المذاهب، وجمعه بين المادة والروح. وقد رأى الدعاة أنه لابد في المنطقة من استخدام هذا الأسلوب؛ لكون الناس قريبي عهد بالإلحاد، حيث لا زال في المنطقة بقية ممن يحملون الفكر الإلحادي، غير متأثرين بانهيار الاتحاد السوفييتي والانفتاح على العالم، فهم لا يعترفون بالدين ولا بوجود الخالق سبحانه، وأن وجود الإنسان في الكون من قبيل الصدفة باعتقادهم.

إن طبيعة النفس البشرية مُهَيَّأة لقبول الدين والتصديق بالإيمان والإقرار بالتوحيد، إذ يقول المصطفى ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة...»[(١)]، وتلك الفطرة هي الدين، قال الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾[الروم: ٣٠].

فالإنسان مفطور على معرفة الله تعالى والإقرار بوجوده. من هنا كان الدعاة يوجهون أنظارهم للنظر في الطبيعة والنفس البشرية، حيث يقول الله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[يونس: ١٠١] ، وقال جل شأنه: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[الذاريات: ٢١].

وكان للهيئات الخيرية ولبعض أفراد الدعاة جهد مشكور في هذا الشأن لتوفيرهم الوسائل اللازمة لاستخدام أسلوب الأدلة العلمية في إقرار التوحيد والرد على شبهات هؤلاء الملحدين ودحضها، وذلك من خلال المؤتمرات الدولية التي عقدت في موسكو حول الإعجاز العلمي في القرآن والسنة[(٢)]، وقد صحح هذا المؤتمر كثيراً من المفاهيم المغلوطة لدى ملحدي المنطقة، خاصة بين أساتذة الجامعات[(٣)].

---

(١) متفق عليه. الحديث مروي عن أبي هريرة ﷺ. انظر: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري، كتاب الجنائز، باب (٩٢) ما قيل في أولاد المشركين، حديث رقم ١٣٨٥، ورواه مسلم في صحيحه المطبوع مع شرح النووي، كتاب القدر، باب كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم ٢٢.

(٢) عقد في مدنية موسكو مؤتمرات عدة حول الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في الفترة من ١٤١٤هـ إلى ١٤١٨هـ ١٩٩٤-١٩٩٨م) نظمتها: مؤسسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ودعي إليها العديد من المؤسسات والأفراد ولاسيما العلماء من المسلمين وغيرهم.

(٣) ذكره العديد ممن التقاهم الباحث.

وقامت الجامعة الإسلامية في داغستان بترجمة كتاب «الله جل جلاله» للشيخ سعيد حوى، الذي يقيم فيه الأدلة والبراهين القوية على وجود الخالق جل وعلا لدحض نظريات الملحدين. وقد تم توزيعه على جامعات المنطقة وعلى كثير من الأفراد.

كما أنشأ الدكتور أحمد قاضي رحمه الله (رئيس حزب النهضة الإسلامي السابق) جريدة الحضارة الإسلامية، حيث عالج فيها بعضاً من قضايا الإلحاد، وكان ذلك سبباً في تحول بعض من أساتذة الجامعات إلى دعاة للفكر الإسلامي بعد ما كانوا دعاة للفكر الشيوعي الإلحادي مدافعين عنه مناصرين له[1].

● ٢- إبراز تميز الإسلام وشموليته وسمو شريعته وأخلاقه:

كان لابد للقوم في المنطقة من معرفة هذه الميزة التي يتميز بها الإسلام على غيره من الأديان. فبعد انهيار الشيوعية تسابق دعاة بعض الأديان والفرق إلى المنطقة وتنافسوا في دعوة الناس إلى مذاهبهم ـ ولاسيما دعاة التنصير والبوذية ـ فكان لزاماً على دعاة الإسلام أن يجدُّوا السير ويسرعوا الخطى في إبراز تميز الإسلام عن سائر الأديان، وسمو شريعته الربانية السماوية عن سائر شرائع البشر الأرضية.

لقد بيّن الدعاة للناس هناك أن الإسلام هو الدين الخاتم الشامل، الذي ما ترك صغيرة ولا كبيرة في حياة الإنسان وشؤون الكون إلا أشار إليها، وأن شريعته من أجل الشرائع وأقدرها على حل مشكلات البشرية ومعضلاتها في أمور الحكم والسياسة والاقتصاد وغيرها.

أفهموهم أن الإسلام ليس مجرد دين للعبادة داخل المسجد فحسب، بل هو دين شامل وبرنامج كامل يعنى بشؤون الحياة جميعاً، انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢] ، ولم يقتصر الدعاة في المنطقة في سبيل إبراز الجانب الأخلاقي للإسلام على الناحية النظرية، بل حاولوا أن يكونوا قدوة حسنة عملية في هذا الجانب، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] ، حيث جعل الله عز وجل الأسوة العملية في الرسل والصالحين من عباده، فالناس يتأثرون بالمحاكاة والقدوة أكثر من تأثرهم بالسماع والقراءة.

---

(١) ذكره الأستاذ هانئ محمد المهدي وآخرون.

فكان الدعاة يحرصون على إظهار الابتسامة وطلاقة الوجه، جلباً للود، ونفياً للكبر[١]، واقتداء بحال النبي ﷺ حيث روي عن جرير رضي الله عنه أنه قال: «...ولا رآني ـ أي النبي ﷺ ـإلا تبسم في وجهي»[٢].

- **٣- استخدام أسلوب الحكمة في التصدي للبدع والنكرات:**

يعرف أسلوب الحكمة بأنه وضع الشيء في موضعه[٣].

فهو أسلوب لا يستغني عنه داعية في أي مكان، وهو أسلوب له فضله وأهميته، نص عليه القرآن الكريم في كثير من آياته، وحث عليه النبي الكريم ﷺ في أقواله وأفعاله، يقول تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة:٢٦٩]، وقال عز من قائل: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[النحل: ١٢٥]، وقال المصطفى ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً، فسلطه على هلكته بالحق، ورجل آتاه الله الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها»[٤].

وإذا كان أسلوب الحكمة يتوجب على دعاة الإسلام مراعاته في كل مكان، فإن ذلك أوجب في إقليم شمال شرق القوقاز، ذلك لكون المنطقة تموج بالأعراق والمذاهب والتيارات، ففيها الجهلاء والأعداء والملحدون والمتعصبون والمعاندون والمغالون، لذا كان لزاماً على الدعاة انتهاج الحكمة. فالأساليب والوسائل التي تصلح للدعوة في جزيرة العرب مثلاً، ليس بالضرورة أن تكون صالحة في شمال شرق القوقاز.

لابد لمن يخوض غمار هذا الواقع الاجتماعي المعقد أن يكون حكيماً في تشخيص الأسلوب المناسب لكل فئة أو جماعة، حكيماً في معالجته، مراعياً الفروق الفردية بين الناس.

---

(١) ذكره بعض من التقاهم الباحث.

(٢) رواه البخاري، انظر: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (١٣/ ٦١٧) كتاب الأدب، باب (٦٨) التبسم والضحك، حديث رقم ٦٠٨٩.

(٣) انظر: د. محمد أبو الفتح البيانوني: «المدخل إلى علم الدعوة» ص ٢٤٥.

(٤) رواه البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، انظر: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٢/ ٢١٩) كتاب العلم، باب (١٥) الاغتباط في العلم والحكمة، حديث رقم ٧٣.

فمن الناس من يستخدم معهم الأسلوب العاطفي مثل كبار السن والشيوخ وبعض الشباب، ومنهم من يستخدم معهم الأسلوب العقلي والجدلي كالمفكرين والملحدين من أساتذة الجامعات، ومن على شاكلتهم. فكان من الحكمة مخاطبة كل فئة من هؤلاء على قدر عقولها. قال علي بن أبي طالب[١] ﷺ: «حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذب الله ورسوله»[٢].

وكما أن الحكمة تقتضي مخاطبة الناس على قدر عقولها، فإن الحكمة تقتضي أيضاً بيان الحق بالرفق واللين وتجنب الصدام والمواجهة والعنف مع أصحاب البدع وغلاة الصوفية.

ويذكر الدعاة في هذا الشأن موقفاً وقع في جمهوريةأنغوشيا، فقد أقامت إحدى المؤسسات الإسلامية مخيماً تربوياً صيفياً لطلاب معهد الملك فهد عام ١٤١٥هـ (١٩٩٥م)، ومعلوم أن الأنغوش تنتشر فيهم الطريقة القادرية بشدة وعصبية، وكان موقع المخيم التربوي بالغرب وفي قرية تنتشر فيها الطريقة، ومسؤول القرية شيخ قادري. فقدم الشيخ للمخيم يتعرف أحوال من فيه، وتحدث مع بعض الأساتذة بالمخيم عن التصوف والصوفية، فلم يرقه حديثهم عن التصوف، وبدت عليه علامات الغضب؛ ولما التقى بمسؤول المخيم سأله الشيخ: أأنت في طريقة..؟ قال له: نعم. فقال له: وما هي؟ فقال: إنها الطريقة المحمدية. وبحضرة التورية[٣] استطاعوا اتقاء السوء الذي كان من الممكن أن يأتيهم من مسؤول القرية.

---

(١) علي بن أبي طالب ﷺ: هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ وصهره، أبو الحسن أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، وهو أول الناس إسلاماً بعد خديجة . رضي الله عنها . ولد بمكة عام ٢٣ قبل الهجرة، وربي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد. قتل ﷺ غدراً على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي عام ٤٠هـ، واختلف في مكان قبره. وقد روى عن النبي ﷺ ٥٨٦ حديثاً. انظر: ابن الأثير «أسد الغابة في معرفة الصحابة» ٤/ ٨٧، وكذلك: القرطبي «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» ٣/ ١٩٧، وكذلك: الزركلي «الأعلام» ٤/ ٢٩٥.

(٢) رواه البخاري. انظر صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٢/ ٣٠٠) كتاب العلم، باب (٤٩) من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا.

(٣) التورية: الستر، وتستعمل في إظهار شيء مع إرادة غيره. يقال: وريت الخبر: جعلته ورائي وسترته. ووريت الشيء: أخفيته. وفي الحديث: «..ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها» رواه البخاري. انظر: صحيح البخاري المطبوع (٧/ ١٣٩)، كتاب الجهاد والسير، باب من أراد غزوة فورى بغيرها، حديث رقم ٢٩٤٧.

● ٤- مراعاة سنة التدرج في التغيير:

معلوم أن التدرج سنة الله تعالى في صنع الكون وتدبير شؤونه، فهو سبحانه خلق السماوات والأرض في يومين، وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام، كما أنه سبحانه جعل نمو الإنسان على مراحل متدرجة داخل بطن أمه وخارجه. قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ، فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ، فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا ، فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ، ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[المؤمنون: ١٢-١٤].

فهذا داخل بطن أمه، أما خارج بطنها فقد اقتضت سنة الله الكونية أن يتدرج الإنسان في هذه الحياة على مراحل، حيث يخرج للحياة رضيعاً في المهد ثم يكون طفلاً فصبياً فشاباً فرجلاً ثم شيخاً هرماً. وكما أن التدرج يكون سنة إلهية كونية، فهو أيضاً سنة ربانية تشريعية.

فقد نزل الله القرآن منجّماً على قلب رسول الله ﷺ ولم ينزل دفعة واحدة، ذلك لكي تتلقاه القلوب بالقبول والتسليم. من هنا كان لزاماً على دعاة الإسلام الأخذ بهذا الأسلوب ومراعاة هذه السنة الكونية الربانية، وإلا صار الإفساد في أعمالهم أكثر من الإصلاح؛ والهدم أكثر من البناء، ولاسيما في منطقة القوقاز حيث القوم حديثو عهد بكفر وإلحاد؛ وخمر وموبقات؛ وتصوف وخرافات.

لقد أدرك جل الدعاة في المنطقة أهمية الأخذ بهذه السنة الكونية، فكان لهم ـ بعد فضل الله ـ الفضل في نقل كثير من القوم من الإلحاد إلى الإيمان، ومن ارتكاب المنكرات إلى التزام الصالحات، ومن الخرافة والغلو في الصالحين إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين.

فلقد نشأ في المدارس والمعاهد الإسلامية والمساجد جيل من الشباب على علم وبصيرة، التزم كثير منهم بآداب الإسلام وأخلاق القرآن وسنة محمد ﷺ خير الأنام، غير أن الطريق لاتزال طويلة، ومحفوفة بالمكاره والأخطار.

وبالتدرج استطاع كثير من الدعاة والمعلمين التأليف بين قلوب الطلاب مختلفي الأعراق والأصول، وذلك من خلال برامج تربوية تعليمية واجتماعية وترفيهية هادفة.

فالمحاضرات والدروس العلمية؛ وكذا الرحلات الترفيهية والزيارات الاجتماعية الهادفة، أذابت مظاهر الشحناء والتنافر، والعداء والتباغض بين مختلف الأعراق والقبائل، وجعلت الكثير من أولئك الشباب إخوة في الله متحابين متناصحين متباذلين. وصدق المصطفى الكريم ﷺ: «الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[(١)].

● ٥- إحياء دور المسجد ورسالته:

إن مكانة المسجد في الإسلام عظيمة، ومنزلته رفيعة، فقد جعل الله أول بيت وضع للناس في الأرض المسجد، فهو أول البيوت وأشرفها. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي[(٢)] رحمه الله: «...إنه أول البيوت التي وضعها الله في الأرض لعبادته، وإقامة ذكره، وأن فيه من البركات، وأنواع الهدايات، وتنوع المصالح والمنافع للعالمين شيء كثير، وفضل عزيز»[(٣)].

وفي منطقة شمال القوقاز لم يكن للمسجد دوره وأثره بعد سنوات الشيوعية العجاف، حيث لم يكن المسجد في المنطقة يزيد عن كونه مكاناً للعبادة يقصده عدد محدود من

---

(١) متفق عليه. رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها ، ورواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ. انظر: صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري (٨/ ٤٥٥) كتاب أحاديث الأنبياء، باب (٢) الأرواح جنود مجندة، حديث رقم ٣٣٣٦. وانظر: صحيح مسلم المطبوع مع شرح النووي (٦/ ١٤١) كتاب البر، باب الأرواح جنود مجندة، حديث رقم (١٥٩).

(٢) العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي: هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم. ولد في عنيزة بالقصيم عام ١٣٠٧هـ، نشأ يتيماً، وحفظ القرآن الكريم وأتقنه وعمره ١١ سنة، ثم اجتهد في تحصيل العلم حتى نال الحظ الأوفر منه، ولما بلغ من العمر ٢٣ سنة جلس للتدريس فكان يعلم ويتعلم، ويقضي جميع أوقاته في ذلك. كان أعظم اشتغاله وانتفاعه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم حتى صار له اليد الطولى في علم الأصول والتوحيد والتفسير والفقه وغيرها. وبعد عمر طويل دام قرابة ٦٩ عاماً انتقل إلى رحمة ربه عام ١٣٧٦هـ في مدينة عنيزة بالقصيم. رحمه الله رحمة واسعة.

(٣) عبد الرحمن بن ناصر السعدي «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» ١/ ٢٤٣، ط (١) مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ١٤١٥هـ (١٩٩٥م).

الشيوخ لأداء الصلوات اليومية. من هنا فقد أخذ الدعاة على عاتقهم إحياء دور المسجد وأثره الفاعل في حياة الناس، فعمدوا إلى دعوة الشباب والفتية إلى الاهتمام بأداء الصلاة وإقامتها مع الجماعة في المساجد، ونظموا البرامج النافعة والمناشط القيمة في بيوت الله تعالى إحياء لرسالة المسجد، وإعلاء لشأنه ومكانته، ومن تلك البرامج والمناشط مايلي:

- تنظيم حلقات تحفيظ القرآن الكريم وتعليم العربية.
- إقامة مسابقات حفظ كتاب الله العزيز.
- إحياء سنة الاعتكاف في المساجد في رمضان.
- إقامة ولائم إفطار الصائم.
- توزيع صدقة الفطر من خلال المساجد.
- تنظيم بعض الدروس والمحاضرات في بعض المساجد الكبيرة.
- عقد قران الزواج في بعض المساجد الكبيرة.

وقد أدى ذلك إلى إيجاد روح من التآلف والأخوة والمودة بين المسلمين في المنطقة، وبذلك برزت رسالة المسجد الحقيقية التي تسهم في توجيه المسلمين وجمعهم في صف واحد وعلى قلب رجل واحد[1].

● **٦- تقوية الصلة مع بعض الجهات الحكومية:**

كثيراً ما تتوجس الحكومات المحلية في المنطقة من نشاط المؤسسات الإسلامية والدعاة، وإن كثيراً من ذلك التوجس ليس له رصيد من الواقع، بل هو مبني على الظنون والشكوك. ومن أجل تبديد تلك الظنون عملت بعض المؤسسات وكذا بعض الدعاة على إقامة علاقات ودية، وبناء جسور من الثقة مع بعض الجهات الحكومية وشبه الحكومية، بهدف خدمة المسلمين، ودرء الفتنة وتبرير الظنون؛ فلقد قدمت المؤسسات الإسلامية المنطقة لتكون عامل بناء لا معاول هدم في صرحها.

من هنا حرصت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، وجمعية قطر الخيرية، وجمعية

(١) لاحظ الباحث ذلك عند زيارته المنطقة، كما ذكره العديد من الدعاة.

الإصلاح الاجتماعي، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، وغيرها على التعاون مع السلطات المحلية ومع الإدارات الدينية في كثير من المجالات الدعوية والإغاثية والتربوية والتعليمية وغيرها.

فقد نظمت المؤسسات الإسلامية العديد من الحملات الإغاثية في داغستان والأنغوش بالتعاون مع السلطات المحلية، كما تم افتتاح العديد من المساجد بالتعاون مع السلطات المحلية، كما تم افتتاح العديد من المساجد بالتعاون مع الإدارات الدينية، بالإضافة إلى تنظيم بعض مسابقات حفظ القرآن الكريم، وكذا افتتاح بعض المدارس بالتعاون مع الإدارات الدينية والسلطات المحلية. غير أن تلك الصلة ما لبثت أن توترت مع قيام الحرب الروسية الشيشانية صيف عام ١٤١٩هـ (١٩٩٩م)، حيث اتهمت روسيا المؤسسات الإسلامية بدعم المجاهدين الشيشان، وانتهى الأمر بطرد القائمين على تلك المؤسسات، مما حرم المنطقة هناك من خير عظيم وجهود طيبة مباركة.

● **٧- الاهتمام بالتخطيط[١] الرحلي والاستراتيجي للدعوة:**

إن المراد بالتخطيط الدعوي: «التنبؤ بما سيكون عليه حال الدعوة في المستقبل، مع الإعداد والاستعداد له»[٢].

ولا شك أن التخطيط للدعوة قد حث عليه الإسلام، بل إننا نجد أن الدعوة الإسلامية في مهدها الأول قد ارتكزت على تخطيط محكم دقيق يلتقي مع المفاهيم العلمية الحديثة لمعنى التخطيط، وقد ورد في القرآن الكريم من النصوص الهادية إلى ذلك في شتى مناحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وفي حالتي السلم

(١) التخطيط لغة: من الفعل خط، ويقال خط على الشيء، أي رسم علامة، ويقال: خطط الأرض والبلاد، أي جعل لها خطوطاً وحدوداً. انظر: «لسان العرب» ص ٨٥٨.
والتخطيط اصطلاحاً: مرحلة التفكير والتنبؤ والتحليل التي تسبق القيام بأي عمل. انظر: عبد المولى الطاهر «التخطيط للدعوة الإسلامية. دراسة تأصيلية» رسالة ماجستير: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الرياض، ١٤١٥هـ (١٩٩٥م).

(٢) المرجع السابق ص ١٥١.

والحرب[١]، ومن تلك النصوص القرآنية قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله[٢]: «الإعداد هو تهيئة الشيء للمستقبل»[٣].

وإن المتأمل لسورة يوسف عليه السلام ليبصر ذلك التخطيط المحكم في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٧-٤٩] ، ولاشك أن في قصة يوسف عليه السلام درس بليغ للداعية لما يجب عليه من التخطيط المحكم لحماية الدعوة وحماية الوطن، والعمل على الدفع بعجلة الدعوة، وذلك بالتنبؤ لما قد يحدث والعمل على تفادي أخطار المستقبل بالتخطيط الموجه. وترجع أهمية التخطيط في أنه يساعد الداعية على تحقيق الأهداف القريبة والبعيدة بسرعة وكفاءة، كما أنه يعطيه رؤية للمتغيرات من حوله، ويمكنه من معرفة المشاكل المتوقعة حتى يستعد لها، ويعمل على تلافيها، كما يعطيه أيضاً نوعاً من الثقة والأمان النفسي، فيجتهد في أداء مهمته في ارتياح وطمأنينة، فيحقق أهدافه ويعمل على استغلال الطاقات البشرية والإمكانات المادية أفضل استغلال[٤].

وبالرغم من عدم وضوح أهمية التخطيط لدى كثير من أفراد الدعاة المحليين في المنطقة، غير أن الهيئات والمؤسسات الإسلامية قد اهتمت بهذا الأسلوب الهام وعنيت

---

(١) انظر تفصيل ذلك في: «التخطيط للدعوة الإسلامية. دراسة تأصيلية» ص ٢٨ وما بعدها. التأليف: عبد المولى الطاهر.

(٢) الإمام محمد رشيد رضا (١٢٨٢-١٣٥٤هـ، ١٨٦٥-١٩٣٥م) هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين، البغدادي الأصل، الحسيني النسب. صاحب مجلة «المنار»، وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من علماء الحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في طرابلس الشام وتعلم فيها ثم رحل إلى مصر فلازم الشيخ محمد عبده، ثم أصبح مرجع الفتيا. وللشيخ جهود كبيرة في الدعوة والإصلاح، فقد أنشأ مجلة «المنار» وأنشأ مدرسة الدعوة والإرشاد بمصر. وله «تفسير القرآن الحكيم» و«الوحي المحمدي» و«يسر الإسلام وأصول التشريع العام» وغيرها. توفي بالقاهرة رحمه الله. انظر «الأعلام» ٦/ ١٢٦.

(٣) محمد رشيد رضا «تفسير القرآن الحكيم» المشهور بـ «تفسير المنار» ٨/ ٦١، ط (١) دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٤٩هـ (١٩٣١م).

(٤) انظر: عبد المولى الطاهر «التخطيط للدعوة الإسلامية. دراسة تأصيلية» ص ١٩ وما بعدها.

به، فوضعت الخطط الدعوية اللازمة التي تغطي الجوانب الدعوية كافة، وتعنى بجميع شرائح المجتمع وشعوبه، قدر الإمكانات والطاقة.

فعلى سبيل المثال خططت هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية لبناء ٢١٧ (مائتين وسبعة عشر) مسجداً موزعة في عموم مدن المنطقة وقراها، مع دعم تلك المساجد بما يلزم من الأئمة والدعاة المؤهلين. كما خططت الهيئة ولجنة الدعوة الإسلامية والندوة العالمية للشباب وغيرها لإنشاء مدارس ومعاهد إسلامية عدة في المنطقة، وتزويدها بما يلزم من الأساتذة الدعاة العرب الأكفاء، بهدف سد النقص الكبير في الطاقات الشرعية المؤهلة، وكان لها تحقيق قدر جيد من ذلك.

كما خططت المؤسسات الإسلامية لإرسال بعثات دراسية للمئات من طلاب المنطقة ـ لاسيما المتميزين منهم ـ وذلك للدراسة في الجامعات العربية والإسلامية، ليعودوا إلى قومهم بعد بضع سنين يدعون إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

هذا في مجال الدعوة والتعليم، أما في مجال الرعاية الاجتماعية والإغاثية فقد قامت المؤسسات على وضع الخطط للإغاثات العاجلة بهدف تنفيس الكرب وتفريج الضر عن بعض ما يقع للمسلمين هناك من كوارث وحروب. وعملت على كفالة الأيتام ومساعدة المحتاجين وإنشاء بعض المراكز الطبية وإغاثة اللاجئين وغير ذلك[1].

وهكذا جاء تخطيط المؤسسات الإسلامية في المنطقة مراعياً للجوانب الدعوية والتعليمية والاجتماعية والصحية، وذلك شعوراً من القائمين على تلك المؤسسات بأهمية التخطيط المرحلي والاستراتيجي في الدعوة.

(١) انظر تفصيل ذلك في: فصل الجهود الدعوية، المبحث الأول: القائمون بالدعوة، جهود المؤسسات ص ٢٠٤.